سلسلة شروح فضيلة الشيخ

التعليق على رسالة

آداب العشرة وذكر الصحبة والأخوة

لبدر الدين محمد الغزي

لفضيلة الشيخ الدكتور

محمد هشام طاهري

حفظه الله ورعاه

خدمة دروس الشيخ

ملحوظة: الشيخ لم يطلع على التفريغ

لأي ملاحظة يرجى مراسلتنا على

للاستفسار

الرجال: 50110130 965+ www.DRABOSALAHM.com

النساء: 96537184 965+ @DrAboSalahM

د. محمد هشام طاهري

خدمة دروس الشيخ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمدٍ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد: فنحمد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ على ما مَنَّ به علينا وعليكم من هذا اللقاء المبارك من هذه الدورة اليومية المقامة في هذا المسجد المبارك، وشكَرَ الله لَمن كان سببًا في إقامة هذه الدورة التي بإذن الله عَزَّوَجَلَّ نقرأ فيها ثلاث رسائل:

الأولى: [آداب العِشرة وذِكْر الصُحبة والأخوة] للغِزِّي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى.

فنبدأ على بركة الله تعالى، ونسأله جَلَّ وَعَلَا أن يؤدِّبنا بآدابه، وأن يجعلنا من أحسن الناس عِشرةً، وأن يجعلنا ممن يعرفون حقوق الصحبة وحقوق الأُخوة، ونسأل الله عَزَّوَجَلَّ العلم النافع والعمل الصالح.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمدٍ، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

اللهم اغفر لنا ولشيخنا وللسامعين والحاضرين.

المتـــن:

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: الحمد لله الذي أكرم خواصَّ عباده بالأُلفة في الدِّين، ووفقهم لإكرام عباده المخلصين، وزيَّنهم بالأخلاق الكريمة والشِّيَم الرضية تأدُّبًا بأفضل البشرية، وسيد الأُمَّة محمد بن عبد الله بن عبد المطلب (صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

اعلم أيها الأخ الصالح أصلح الله شأننا أنَّ لأدب الصُّحبة وحُسن العِشرة أوجهًا، وأنا مبيِّنٌ منها ما يدلُّ العاقل على أخلاق المؤمنين وآداب الصالحين، ويعلم أنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ جعل بعضهم لبعضٍ رحمةً وعونًا؛ ولذلك قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مثل المؤمنين في توادُّهم وتراحمهم كمثل الجسد، إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائره بالحُمَّى والسهر**».

وقال عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشُدُّ بعضه بعضًا**».

وقال عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «**الأرواح جنودٌ مجنَّدة ما تعارَفَ منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف**».

وقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**إنَّ الأرواح تلاقَى في الهوى فتُشامُّ، فما تعارَف منها ائتلف، وما تناكَر منها اختلف**».

فإذا أراد الله بعبدٍ خيرًا وفَّقه لمعاشرة أهل السُّنَّة والصلاح والدِّين، ونزَّهه عن صُحبة أهل الأهواء والبِدَع المخالفين، وقال عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «**المرء على دِين خليله؛ فلينظر أحدكم مَن يخالل**».

ولبعضهم:

عَنِ المَرْءِ لَا تَسْأَل وَسَل عَنْ قَرِينِهِ فَكُلُّ قَرِينٍ بِالْمُقَارِنِ يَقتَدِي

ومن كلام علي بن أبي طالب كرَّم الله وجهه ورضي عنه:

وَلَا تَصْحَبْ أَخَا الْجَهْلِ وَإِيَّاكَ وَإِيَّاهُ
فَكَمْ مِنْ جَاهِلٍ أَرْدَى حَلِيمًا حِينَ يَلْقَاهُ
يُقَاسُ الْمَرْءُ بِالْمَرْءِ إِذَا مَا هُوَ مَاشَاهُ
وَللشَّيْءِ عَلَى الشَّيْءِ مَقَايِيسُ وَأَشْبَاهُ
وَلِلقَلْبِ عَلَى الْقَلْبِ دَلِيلٌ حِينَ يَلْقَاهُ

قال: آداب العِشرة:

فمن آداب العِشرة: حُسن الخُلُق مع الإخوان والأقران والأصحاب اقتداءً برسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإنه قال، وقد قِيل له: «ما خيرُ ما أُعطِيَ المرء؟ قال: «**حُسن الخُلُق**».

التعليق:

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فمن آداب العِشرة**)؛ الآداب: جمع أدب، وسُمِّيَ الأدب أدبًا؛ لأنه صار سجيَّةً ودأبًا للإنسان، وهذه الآداب منقسمة إلى قسمين:

قسمٌ منها جبلِّية: خَلَقَ الله عَزَّوَجَلَّ بعض عباده عليها كالحِلم والأناة.

وقسمٌ منها مكتسبة:

- فتجد الإنسان عجولًا، ثم مع التأدُّب يصبح هيِّنًا وآنيًا.
- تجد الرجل جاهلًا، ومع التأدُّب يصبح عالمًا.
- تجد الرجل سفيهًا، ومع تعلُّم الأدب يصبح حليمًا.

فالآداب تُكتسب كما قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**العلم بالتعلُّم، والحِلم بالتحلُّم، ومَن يتصبَّر يصبِّره الله**».

ومن الخطأ البيِّن ما يقوله بعض الناس، يقول: «أنا لا أستطيع، أنا خُلِقْت هكذا»، إن كنت قد خُلِقْتَ هكذا ابتلاءً من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فالواجب عليك أن تنظر بما أمرك الله لكي تُصلح حال نفسك، ألَا ترىٰ أنَّ بعض الناس ربما يُولد ويكون في عينه حوَلٌ، ثم لا يزال يبحث عن العلاج حتىٰ يجد للعين عدلًا واستقامةً؛ فالأخلاق من باب أوْلَىٰ، والنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيَّن أنَّ: «**خير ما أُعطي المرء حُسن الخُلُق**».

والأدب الذي يتكلَّم عنه هذا الكتاب هو [**آداب العِشرة**]، والعِشرة المقصود بها هنا ليس كيف تُعاشر زوجتك وأهلك فقط؛ وإنما الكلام عن آداب العِشرة من حيث العموم مع كل مَن تعاشرهم.

والعِشرة: فعلةٌ من المعاشرة؛ وهم الذين تكون معهم في بدنك، وفي مجالسك، وفي مآكلك ومشاربك.

فمثلًا: إنسان إذا ذهب إلىٰ السوق: فإنه مع أهل التسوُّق مع البائعين في عِشرة.

وإذا ذهب إلىٰ أهله: فهو مع أهله في عِشرة.

وإذا ذهب إلىٰ ديوانه ومجلسه: فهو معهم في عِشرة.

وإذا صاحَبَ أناسًا في سفرٍ أو عملٍ: فهو معهم في عِشرة.

وهنا لا بد أن ندرك أنَّ المؤمنين لهم حقوق عليه، وحق المؤمن علىٰ المؤمن - كما هو معلوم- منقسمٌ إلىٰ ثلاثة أقسام:

- **حقٌّ عام**: وهو حق الإسلام.
- **ثم حقٌّ خاص**: وهو حق القرابة.
- **ثم حقٌّ أخص**: وهو حق الجِيرة والصُّحبة.

فإذًا لا بد للإنسان أن يدرك أنَّ للصُّحبة حقوقًا خاصة، وأنَّ للأخوة حقوقًا خاصة، وأن يتعلَّم هذه الحقوق وأن يُعلِّمها نفسه وأولاده وذويه.

المتـــن:

قال: ومنها: تحسين ما يعانيه من عيوب أصحابه، فقد قال ابن مازنٍ: «المؤمن يطلب معاذير إخوانه، والمنافق يطلب عثراتهم».

وقال حمدون القصَّار: «إذا زلَّ أخٌ من إخوانك، فاطلب له تسعين عُذرًا، فإن لم يقبل ذلك فأنت المعيب».

التعليق:

(تحسين ما يعاينه من عيوب أصحابه) هذا - بارك الله فيكم- ليس على إطلاقه؛ وإنما كما قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(المؤمن يطلب معاذير إخوانه)**؛ فإذا رأيتَ من أخِيك زلةً أو هفوةً فأنت تطلب له عذرًا.

إن رأيته غضوبًا فقل: لعله كان في ضِيق.

إن رأيته قد نام عن وعدٍ فقل: لعله كان مُتعبًا.

فأنت تُوجِدُ وتلتمس لأخيك العُذر ولا تُشهِر العيب؛ بل تجد للعيب عُذرًا، وهذا هو معنى «تحسين العيوب».

وأمَّا العيوب الظاهرة: فهذه لا يجوز تحسينها؛ بل يجب على الإنسان أن ينصح أخاه المؤمن كما قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**حق المسلم على المسلم ستٌّ** - وذكَرَ منه -: **وإذا استنصحك فانصح له**».

ورُوِيَ: «**المؤمن مرآة أخيه**»، فكما أنَّك تُزِيل القشة من لحية أخيك، وتزيل العيب من وجه أخيك، فكذلك ينبغي أن تكون عونًا له؛ فتزيل عنه العيوب الدينية والدنيوية.

ولهذا يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [**سورة التوبة، من الآية:٧١**] ومعنى ﴿أَوْلِيَآءُ﴾؛ أي: أحباب.

﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾؛ أي: أحباب بعضٍ، يحبُّ بعضهم بعضًا فيتعاونون ويتناصحون؛ ولهذا قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾[**سورة التوبة، من الآية:٧١**].

وأمَّا إذا رأيتَ من أخِيك عيبًا أو زلةً فأنت تشهرها فهذه علامة النفاق - نسأل الله السلامة والعافية-، كما قال الله سبحانه في وصف المنافقين أنهم: ﴿ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾[سورة النور، من الآية:١٩]؛ فالمؤمن يتأدَّب بآداب الله عَزَّوَجَلَّ، يحب السِّتر، والله جلَّ في علاه ستيرٌ يحب السِّتر.

فأنت أيها المسلم، أيها الموفَّق، كُن ستِّيرًا للعيوب، وناشرًا للخير، فهذا هو معنىٰ أنَّ الإنسان إذا رأىٰ من أخيه عيبًا فإنه يحسِّنه، ويطلب له المعاذير.

ولهذا رُوِيَ عن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنه قال: «**إذا وجدتَ لأخيك كلمةً وأنت تجد لها مخرَجًا حسنًا فلا تحمله على المخرج السيِّء**» .

والأمر كما قال الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ في سورة النور: ﴿ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾[سورة النور، من الآية:١٢]؛ فكما أنت تتكلم بالكلمة، وتعلم أنك لا تريد من وراء الكلمة إلَّا أحسن المحامل؛ فكذلك احمل كلام أخيك علىٰ أحسن المحامل .

وإذا عمِلتَ عملًا تودُّ لو أنَّ الناس يجدون لك عذرًا فكذلك كُن أنت، والتمس الأعذار لإخوانك المسلمين .

المتـــن:

قال: ومنها معاشرة الموثوق بدِينه وأمانته ظاهرًا وباطنًا، قال الله تبارك وتعالىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾[سورة المجادلة، من الآية:٢٢] الآية.

الأصل: أنَّ العِشرة مؤثِّرة علىٰ الإنسان؛ ولهذا نَهَىٰ النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عن معاشرة الكفار فقال عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ: «**أنا بريءٌ ممن أقام بين ظهراني المشركين**» هذا الحديث عظيم، والله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ توعَّد المقيمين في بلاد الكفر لغير عُذر فقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا﴾[سورة النساء، من الآية:٩٧].

وجاء بسندٍ صحيح أنَّ النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**لا يجتمع نار ان: نار مؤمنٍ، ونار مشرك**»؛ هذا كله حتى لا يتأثَّر المسلم بأخلاق الكفرة والمشركين.

كذلك نَهَى النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عن معاشرة أهل البِدَع ممن لا يُوثَق بدِينهم ولا بأمانتهم وأخلاقهم؛ لأنهم يتَّبعون أهواءهم، فقال عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ كما في الصحيح من حديث عائشة رضي الله تعالى عنها قال: «**فإذا رأيتم الذين يتَّبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمَّاهم الله؛ فاحذروهم**»، وفي رواية: «**فإياكم وإياهم**»؛ يعني: ابتعدوا عنهم، كونوا على جانب وأنتم على جانب، فإنَّ مَن عاشَر مَن لا يُوثَق بدِينه وأمانته تأثَّر به، وقديمًا قِيل: «مَن مشى مع الأخيار صار خيِّرًا، ومَن مشى مع الأشرار صار شرِّيرًا».

والله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى يقول: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾[**سورة المجادلة، من الآية:٢٢**]، و﴿كَتَبَ﴾؛ في هذا الموضع بمعنى: تقرر وثبَت، كما تتقرَّر الكتابة وتثبُت.

المتـــن:

وللمعاشرة أوجهٌ: فللمشايخ والأكابر: بالحُرمة والخدمة والقيام بأشغالهم.

وللأقران والأوساط: بالنصيحة وبذل الموجود، والكون عند الأحكام ما لم يكن إثمًا.

وللمريدين والأصاغر: بالإرشاد والتأدُّب والحَمل على ما يوجبه العلم، وآداب السُّنَّة، وأحكام البواطن، والهداية إلى تقويمها بحُسن الأدب.

التعليق:

قول المصنف: (**للمعاشرة أوجه**)؛ هذا أحد الأوجه الثلاثة: أن تنظر إلى الناس مَن هم: إمَّا أن يكونوا أكبر منك سنًّا وعلمًا؛ فلهم حُرمة التقدُّم السِّنِّي والعلمي، وهنا ينبغي عليك أن تخاطبهم بأحسن الألفاظ الدالة على التعظيم والتبجيل: فيا عم! ويا أبتِ! ويا شيخ! ونحو ذلك، مع القيام بأشغالهم وأعمالهم، وإعانتهم.

أمَّا إذا كان الرجل مثلك في السن ومثلك في العلم؛ فحينئذٍ هذا يسمى «التِّرب» فالأتراب ينبغي عليهم أن يعاشر بعضهم بعضًا بالنصيحة، وبذل الموجود، وإعانتهم على إيجاد الأعمال.

والكون هنا (**وبذل الموجود والكون**)؛ والكون يعني: ما يمكن إيجاده، والكون: ما يمكن العمل به، فأنت تُعِين إخوانك كما قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»؛ ما لم يكن إثمًا؛ لأنه لا يجوز العوْن على الإثم.

فإذا كان الذي أمامك ممن تعاشره دونك سنًّا ودونك علمًا؛ فحينئذٍ أنت تعامله معاملة الابن، معاملة الصغير باللُّطف، بالأدب، بالتوجيه، فأنت تحمله على العلم، تؤدِّبه بآداب السُّنَّة.

وأمَّا ما ذكره المصنف من لفظ: (**المريد**)؛ فهذا اصطلاحٌ لبعض المتصوِّفة أنَّ بعض طلبتهم يأتون إلى الشيخ ويبايعونه على التزام طريقته، وقد نبَّه شيخ الإسلام أبو العباس ابن تيمية رَحِمَهُٱللَّهُ أنَّ هذه طريقةٌ مُحدَثةٌ بِدعة، ليس لأحدٍ أن يأخذ بيْعةً من أحد على السمع والطاعة في المنشط والمكره إلَّا الأمير.

أمَّا ما يكون بين المشايخ والطلاب فإنما هو ما ذكره المصنف أولًا: أنَّ الشيخ يعامل الصغير بالأدب والتأدُّب والتعليم، والصغير يعامل الشيخ بالوقار والإجلال والتوقير، فهذا تقسيمه صحيح.

وهناك قسمة أخرى وهي: أنَّ للمعاشرة أوجهًا ثلاثة أخرى وهي:

- معاشرة الأقارب.
- ومعاشرة الجيران.
- ومعاشرة الأصحاب ممن ليسوا أقارب ولا جيران.

فلكلٍّ منهم حق، فلا يجوز للإنسان – مثلًا– أن يقدِّم حق الناس الأباعد على الأقارب، ولا يجوز للإنسان – مثلًا– أن يقدِّم على صُحبة أبيه وأمه صحبة الناس الأباعد ولو كانوا من أصحابه؛ لا بد للإنسان أن يتعلَّم الترتيب في الحقوق والترتيب في الأصحاب.

ولهذا قال سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ: ﴿وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗا﴾ [**سورة لقمان، من الآية:١٥**]؛ فلا يجوز للإنسان – مثلا – أن يقدِّم صُحبته لزوجته على حقوق أمه، أو أن يقدِّم صُحبته لأولاده على حقوق أبيه، أو أن يقدِّم صُحبته لإخوانه على أولاده، فلكلٍّ حق، وينبغي معرفة هذه الحقوق.

أيضًا هناك قسمة أخرىٰ وهي: معاشرة أولياء الأمور، وهم الذين لهم شيءٌ من الأمر سواءً كان الأمير العام للبلد والحاكم، أو كانوا أمراء المناطق أو المسئولين؛ فهؤلاء لهم أدب خاص.

وأصحابك الذين معك في العمل: لهم أدب خاص.

والذين أنت معهم في البيت: لهم آدابٌ وحقوقٌ خاصة.

المتـــن:

ومنها: الصفح عن عثرات الإخوان، وترْك تأنيبهم عليها.

قال الفُضَيل بن عياض: «الفتوة: الصفح عن عثرات الإخوان».

فكما يجب علىٰ العبد الأدب مع سيده يجب عليه معاشرة مَن يعينه عليه، قال بعض الحكماء: «المؤمن طبعًا وسجية» .

وقال ابن الأعرابي: «تناسَ مساوئ الإخوان يدم لك وِدُّهم».

وواجبٌ علىٰ المؤمن أن يجانب طُلَّاب الدنيا؛ فإنهم يدلُّونه علىٰ طلبها ومنعها، وذلك يبعده عن نجاته ويقظته عنها، ويجتهد في عِشرة أهل الخير وطُلَّاب الآخرة؛ ولذلك قال ذو النون لمَن أوصاه: «عليك بصحبة مَن تسلَم منه في ظاهرك، وتُعِينك رؤيته علىٰ الخير، ويذكِّرك مولاك».

التعليق:

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**ومن هذه الحقوق**)؛ أي: حقوق المعاشرة مع الإخوان والأصحاب (**الصفحُ عن عثرات الإخوان**)؛ فإنَّ الإنسان ربما يجد من أخيه عثرة (زلة لسان أو زلة فِعال) فماذا يفعل؟

بعض الناس إذا سمِعَ عثرةً فعلية أو قولية أغلق عنك الباب، هذا في الحقيقة يعدُّ مخالفة لهدْي النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومخالفة لحقوق الأخوة؛ فإنَّ الأخ حقًّا هو: مَن يتحمَّل أصحابه، ويتحمَّل عثراتهم.

وإني لأعرف رجلًا ما أنَّب أحدًا في عثرةٍ أبدًا، وإني لأتعجَّب من حُسن صفحه عن عثرات إخوانه.

وتأمَّلوا في هذا أعظم ما ذَكَرَه الله في قصة يوسف، قال: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ [**سورة يوسف، من الآية:٩٢**]، تحمَّل أمورا من إخوانه لا يعلَم بها إلَّا الله عَزَّوَجَلَّ؛ وفي الأخير قال لهم: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾[**سورة يوسف، من الآية:٩٢**]، هذا شيء عجيب.

والنبي الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تحمَّل عثرات الكفار والمشركين، فكم تحمَّل عثرات اليهود في المدينة مع أنهم مراتٍ وكرَّاتٍ أرادوا قتله واغتياله!

ولَمَّا فتَحَ الله له مكة ومكَّنه من قريش تحمَّل عثراتهم، وصفَحَ عن زلَّاتهم حتى سُمُّوا بالطلقاء، وأسلموا من حُسن ما رأوا من تحمُّل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعثراتهم وهم على الكفر والشِّرك حينما ضربوه وسبُّوه وشتموه، وأخرجوه وأرادوا قتله، وكل هذا لم يؤثِّر في أخلاق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لماذا؟ لأنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إنما عاملهم بخُلُقِه.

فأنت لا تُعامِل الناس بأخلاقهم، بعض الناس يقول: «فلان عمِلَ لي كذا؛ أنا أعمَل له كذا» يقول: « هل هذا جائز؟».

نقول: نعم، قلنا جائز، لم نقُل لا يجوز؛ لأنَّ الله يقول: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا﴾ [**سورة الشورى، من الآية: ٤٠**]؛ لكن ما هو الأفضل؟ أكمل الآية، لماذا لا تكمل الآية؟ ﴿فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [**سورة الشورى، من الآية: ٤٠**]، أما تريد أن يكون أجرك على الله؟ إذا كنت تريد أن يكون أجرك على الله فكن دائمًا عفُوًّا صفوحًا، وإياك والتأنيب.

ولهذا كان الفُضيل بن عياض رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: «الفتوة» معناها القوة، يعني: البطولة في عُرفنا اليوم، هل تريد أن تصير بطلا؟

البطولة، الفتوة يعني: البطولة: الصفح عن عثرات الإخوان.

وهنا قوله: (**قال بعض الحكماء: المؤمن طبعًا وسجيةً**)؛ أي: بمعنى: أنَّ المؤمن طبعًا وسجيةً يكون عفوًّا صفوحًا، المؤمن لا يؤنِّب أحدًا، لماذا المؤمن لا يؤنِّب أحدًا؟ لأنه يعلم أنَّ ما وَقَعَ من هذا الرجل تجاهه مكتوب عليه، فهو يعلم أنَّ هذا من عند الله؛ فحينئذٍ لا يؤنِّبه إلَّا إذا كان فيه محرَّم وحق لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وقوله هنا: (**واجبٌ على المؤمن أن يجانب طلَّاب الدنيا**)؛ حقيقة أنَّ هذا أمر عظيم، إذا كان يجب عليك أن تجانب معاشرة الكفار ومعاشرة أهل البِدَع؛ فإنه يُندَب أشد الندب مجانبة معاشرة أهل الدنيا، والله الذي لا إله إلَّا هو إنك لتجد في قلبك الإيمان، وما إن تجلس مع أهل الدنيا ساعة إلَّا وتجد التغيُّر في قلبك، ما هو السبب؟ السبب أنَّ أهل الدنيا يدعونك إلى دنياهم؛ ولذلك الله

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ماذا قال للمؤمنين؟ لقد قال لهم: ﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾[سورة آل عمران، من الآية:١٩٦-١٩٧]، وقال: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾[سورة الحجر، من الآية:٣].

بعض الناس كلَّما تقول له شيئًا يقول لك: «الكفار، شوف الكفار، نذهب لبلاد الكفار، ونرى ديار الكفار»، أوَ ما تقرأ القرآن؟ والله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [سورة الحجر، من الآية:٣]؛ والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يقول: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾[سورة الحجر، من الآية:٣].

فينبغي مجانبة طلَّاب الدنيا؛ لأنهم يرشدون الإنسان إلى طلب الدنيا، وهم يريدونك لدنياهم، فإذا رأوا منك أنك عالةٌ عليهم تركوك وداسوا عليك وذهبوا، وهذه الآية ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[سورة الزخرف، من الآية:٦٧]؛ أعظم شاهد على أنَّ الخُلَّة والمحبة والأخوة إذا لم تكن في الدِّين فإنها لا تنفع.

فكم من إخوةٍ أبناء أمٍّ وأبٍ تقاتلوا لأجل الدنيا؟!

وكم من أصحابٍ تنافروا لأجل الدنيا؟!

وكم من أهل عِشرةٍ في مكان عملٍ تقاتلوا وتنابذوا وتحاكموا حتى وصلوا للقضايا بسبب منصب دنيوي فانٍ؟!

فينبغي على الإنسان أن يتجنَّب معاشرة أهل الدنيا، وأن يدرك أنَّ البُعد عنهم نجاة، وأنَّ عِشرتهم فيها مذلة وهوان.

ولهذا قال ذو النون المصري - وكان من الزُّهَّاد العُبَّاد -: «عليك بصُحبة مَن تسلَم منه في ظاهرك، وتُعِينك رؤيته على الخير، ويذكِّرك مولاك»، فالإنسان ينبغي عليه أن يصحب مَن إذا نظَرَ إليه أو سمِعَ منه ذكَرَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

المتـــن:

قال: ومنها: قلة الخلاف للإخوان، ولزوم موافقتهم فيما يبيحه العلم والشريعة، قال أبو عثمان: «موافقة الإخوان خيرٌ من الشفقة عليهم».

التعليق:

ينبغي على الإنسان أن يحفظ هذا الحق وهو: أن المسلم لا يكون دائمًا مخالفًا للإخوان؛ فإنَّ مخالفة الإخوان في كل شيء سببٌ من أسباب ضياع الأخوة، وسببٌ من أسباب ضياع الحُرمة، فإنَّ بعض الناس يخالف في كل صغيرةٍ وكبيرة حتى يكاد يُعرَف بأنه يخالف ليُعرَف، فهذه مصيبة.

النبي الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان إذا شاوَرَ أصحابه ورأى منهم شيئا ينظر إلى أكثرهم ماذا يختارون؛ فيميل إليهم ما لم يكُن إثمًا، تأمَّلوا معي! النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يخالف الأكثرين عندما يختارون شيئًا ليس فيه إثم.

ولا أدلَّ على ذلك من مشاورته للصحابة في الخروج في «غزوة أُحُد»، فجمهور الصحابة وهم الشباب أشاروا على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالخروج إلى أُحُد ومقاتلة الكفار هناك، وكُهُول الصحابة وهم القلة أشاروا على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يبقوا في المدينة، وأنهم إذا دخلوا في طرقات المدينة يرمونهم بالنبْل وبالسهام حتى يرجعوا مغلوبين؛ فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سمِعَ لرأي الأكثر وخرَجَ إلى أُحُد.

المتـــن:

ومنها: أن يحمدهم على حُسن ثنائهم، وإن لم يساعدهم باليد؛ لقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «نية المؤمن أبلغ من عمله».

قال عليٌّ كرَّم الله وجهه: «مَن لم يحمِل أخاه على حُسن النية لم يحمده على حُسن الصنعة».

التعليق:

حمد الناس على حُسن ثنائهم يعني: ينبغي أن ننتبه لهذه القضية؛ لأن فيها تفصيلًا: فإذا جاءك إنسان وهو يُثني عليك؛ فينبغي عليك:

أولًا: أن تبيِّن له أنَّ الثناء في الوجه لا يجوز.

وأن تبيِّن له أنه إذا أراد أن يثني عليك فليكن ذلك في غير حضورك؛ لأنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صحَّ عنه أنه قال: «**إذا جاءكم المدَّاحون فاحثوا في وجوههم التراب**».

وأمَّا إذا حسَّن وحمِدَ فِعَالك دون المدح كأن يقول لك: «والله أحسنت إذ قضيتَ حاجة فلان»؛ فهذا أمرٌ ينبغي أن تحمد لأخِيك فِعاله بدون مدحٍ، وأن تشكر له أقواله النافعة دون مدحه، وهذا أمر مطلوب، فإنَّ الإحسان أن تقول: «أحسنت لَمن أحسن» مطلوب.

ولذلك فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾[**سورة الأنفال، من الآية: ٧٤**]؛ فمدَحَهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وينبغي علينا أن نتعلَّم كيف نحمَد الناس على حُسن ثنائهم؟

وأن نحمَد الناس على حُسن نياتهم، حتى إذا أخطأ في حقك إنسان فعليك أن تقول: «أنا أعلم أن نيتك طيبة؛ لذلك لا ضيرَ عليك»، فهذا أمر مطلوب.

وأمَّا حديث: «**نية المؤمن أبلغ من عمله**»؛ فهذا حديثٌ لا يصح.

وقول المصنف عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كرَّم الله وجهه بحُجة أنه لم يعبد صنمًا: فهذا ليس مخصوصًا بعليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فإنَّ كثيرًا من الصحابة لم يعبدوا صنمًا، ومنهم ممن لم يعبُد صنمًا قط: كأبي بكر الصدِّيق، وأبي ذر الغِفاري.

ومن صغار الصحابة: عبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزُّبيْر، وعبد الله بن عباس.... وغيرهم كُثر.

فليس عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مخصوصًا بهذا.

أمَّا إذا كان المقصود: (**كرَّم الله وجهه**)؛ الدعاء له حتى يكون إرغامًا للمعتزلة والخوارج الذين يتكلَّمون في عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ويتكلَّمون في وجهه؛ فهذا لا بأس به؛ لكن الأفضل هو أن نقول عنه كما قال الله عن عموم الصحابة: رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هكذا نقول: قال عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، هكذا نقول.

(**مَن لم يحمِل أخاه على حُسن النية لم يحمده على حُسن الصنعة**)؛ فهنا أمران:

نحمده على حُسن الصنعة: عوِّد نفسك على هذا.

وأيضًا تحملُ أخاك على أحسن النيات حتى لو رأيتَ منه عملًا ما.

المتـــن:

ومنها: ألَّا يحسُدهم على ما يرى عليهم من آثار نعمة الله؛ بل يفرح بذلك، ويحمدُ الله على ذلك كما يحمده إذا كانت عليه؛ فإنَّ الله تعالى ذمَّ الحاسدين على ذلك بقوله: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾[سورة النساء، من الآية:٥٤]، وقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**كاد الحسد أن يغلب القدر**»، وقال: «**لا تحاسدوا**».

التعليق:

من حقوق العِشرة والصُّحبة أن لا يحسدهم على ما يرى عليهم من آثار نعمة الله؛ لأنَّ هذه النعم التي أعطاها الله عَزَّوَجَلَّ لأصحابك وإخوانك هي من الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى جمالًا وصورة، وطولًا وعرضًا، وعرَضًا ومالًا، وجاهًا ونسبًا، كل ذلك بفضل الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى؛ فكيف تحسد الناس على أمرٍ قدَريٍّ مقدَّرٍ مفروغ منه؟

ولهذا يقول جَلَّوَعَلَا في سورة النساء: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [سورة النساء، من الآية:٣٢]، هذا عام في أي شيء مقدَّر لا تتمنى غيره.

بعض الناس ينظر لنفسه في المرآة يقول: «لو وجهي هكذا.. لو فمي هكذا.. لو عيني هكذا» لا، أنت على ما خَلَقك الله في أحسن صورة، وما يفعله بعض الناس اليوم مما يزعمونه من عمليات التجميل، فهذا من اتباع خطوات الشيطان الذي قال: ﴿وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ﴾ [سورة النساء، من الآية:١١٩].

فإذا تيقَّن المؤمن أنَّ النِّعم من الله مع اعتقاده وامتثاله لأمر الله: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [سورة النساء، من الآية:٣٢]؛ فلا يحسد أحدًا على شيءٍ من متاع الدنيا الزائلة؛ وإنما قد يغبطهم على الأمور النافعة الخيِّرة كالعلم والإنفاق في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ.

والغِبطة مشروعة؛ وأمَّا الحسد فمحرَّمٌ وممنوع باتفاق الفقهاء، بل قال جمعٌ من أهل العلم: «إنَّ الحسد يُنبِي عن ضعف الإيمان»، فالحسد دليلٌ على ضعف الإيمان، بل دليلٌ على شُعبةٍ من النفاق

عياذًا بالله تعالى، كيف تحسد الناس على شيء قدره الله وأعطاه؟! الله الذي يقسِّم الأمور، كيف تحسدهم؟!

ينبغي عليك أن تفرح لأخِيك المسلم كما تفرح لو كانت هذه النعمة لك؛ ولذلك فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ذمَّ اليهود فقال سبحانه: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾[سورة النساء، من الآية:٥٤].

فالحسد هو من صفات الكفار، وهو من صفات المنافقين/ وهو من صفات اليهود:

من صفات الكفار: أنهم لا يعلمون القدَر.

ومن صفات المنافقين: أنهم لا يؤمنون بالقدر.

ومن صفات اليهود: أنهم لا يرضون بتقدير الله عَزَّوَجَلَّ المكتوب.

فينبغي على الإنسان أن يحذر من هذا.

ولذلك قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كما في الصحيحيْن من حديث أبي هريرة: «**لا تحاسدوا**»، وقال: «**لا حسد إلَّا في اثنتيْن...**» في حديث ابن مسعود، ومعنى: «**لا حسد إلَّا في اثنتيْن...**» أي: لا ينبغي أن يكون الحسد، لا ينبغي أن توجدوا الحسد إلَّا في اثنتيْن: «**رجلٌ آتاه الله مالًا فهو يسلِّطه على نفقته بالحق، ورجلٌ آتاه الله علمًا فهو يعلِّمه الناس**»؛ فهذه غِبطة مطلوبة؛ أمَّا أن نحسد الناس على شيءٍ أتاهم الله وأنعم به عليهم فهذا منهي عنه، والنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**لا تحاسدوا**».

وأمَّا حديث: «**كاد الحسد أن يغلب القدر**» فهذا لا أصل له.

المتـــن:

قال: ومنها: ألَّا يواجههم بما يكرهون؛ فإنَّ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهى عن ذلك.

التعليق:

معنى هذا الحق من حقوق العِشرة والصُّحبة: ألَّا تواجه أصحابك بما يكرهون، وإذا رأيتَ من أحدهم أو من مجموعهم شيئًا تكرهه؛ فلا ينبغي أن تقول: «أنت تفعل كذا وكذا، وأنتم تسوُّون كذا وكذا»؛ وإنما تعرض وتأتي بالمعاريض، وتقول: «ما بال بعض الناس يتخلَّق بالكذب... ما بال بعض

الناس يغتاب الناس»، فلا تسمِّيهم ولا تصفهم؛ وإنما تعرِض الأمر عرضًا بدون ذِكر الاسم والوصف؛ فإنَّ هذا أدوم للعِشرة، وأقوَم للصُّحبة.

وكان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكره أن يواجه الناس بما فيهم، فماذا يفعل؟ فكان يقول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**ما بال أقوامٍ...**».

المتـــن:

قال: ومنها: ملازمة الحياء في كل حال؛ لقوله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «**الإيمان بضعةٌ وسبعون -أو ستون- بابًا، أفضلها: شهادة أن لا إله إلَّا الله، وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شُعبةٌ من الإيمان**».

وقال رجلٌ للنبي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «**أوصني! قال: استحِيي من الله عَزَّوَجَلَّ كما تستحِيي رجلًا من صالح قومك**»، وقال: «**الحياء من الإيمان، والإيمان في الجنة، والبذاء من الجفاء، والجفاء في النار**».

التعليق:

الحديث رُوِي: «**والبذاء**»، ورُوِي: «**والبذاذة**»، ورُوِي: «**والبذاءة**»؛ لكن هذا «**البذاءة**» لا تصح، «**البذاء**» و «**البذاذُ من الجفاء، والجفاء في النار**».

الحياء صفة محمودة فينبغي على الإنسان أن لا يُسقط الحياء بين إخوانه وأصحابه، فالصحبة والصداقة تمنع الحياء أو تبيح تركه؛ فينبغي أن نبقِي شيئًا من الحياء.

نعم، لا شك ولا ريب أنَّ الكُلفة مرفوعة بين الأصحاب والإخوان، فيمكن للإنسان أن يعمل أشياء أمام أصحابه وإخوانه لا يعملها أمام عامة الناس، كما كان الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ يضحك مع أصحابه فإذا دخَلَ عليه الداخل كأنَّ شيئًا لم يكن.

وربما الإنسان - مثلًا- يحسِّر عن رأسه مع أصحابه، فإذا رأى عامة الناس لا يفعل ذلك، والنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دخَلَ عليه أبو بكر وعمر وشيءٌ من فخذه ظاهر، فلمَّا دخَلَ عثمان غطَّاه لحيائه؛ فالحياء مطلوب مع الصحب ومع الإخوان.

المتـــن:

ومن المعاشرة: صدق المروءة، وصفاء المحبة؛ فإنها لا تتم إلَّا بهما.

التعليق:

ومعنىٰ (**صدق المروءة**)؛ أي: أن يكون الإنسان صادق الرجولة، ومعنىٰ صادق الرجولة: أنه إذا قال فعل، وإذا فعل أتم، هذا معنىٰ (**صدق المروءة**).

وأن لا يكون بعض الناس كما قال الجاحظ أو غيره: «فلانٌ من الناس لا أعرف إلَّا أفعل وأفعل، ولا يفعل شيء»، فينبغي للإنسان أن يكون مع إخوانه وأصحابه صادق المروءة: إذا قال فعل، وإذا فعل أتم.

وأن يكون صافيَ المحبة بمعنىٰ: لا يكن جسمه معهم وهو يحمل في قلبه عليهم؛ فإنَّ هذا مرض ونفاق -نسأل الله السلامة والعافية-.

فإمَّا أن تصحَب إنسانًا علىٰ صفوٍ، أو تدَعَ صحبته إن كان ثَمَّ كدر، لا تصحب إنسانا وفي قلبك شيء عليه، هذا غش له، لماذا غش له؟ لأنه ربما يبوح لك بأسراره وأنت في قلبك شيء عليه، لا يجوز، هذا محرَّم.

ولأجل ذلك قال المصنف: (**فإنها**)؛ أي: الصُّحبة والأخوة (**لا تتم إلَّا بهما**).

المتـــن:

ومنها: بشاشة الوجه، ولُطف اللسان، وسعة القلب، وبسط اليد، وكظم الغيظ، وترك الكِبْر، وملازمة الحُرمة، وإظهار الفرح بما رُزِقَ من عِشرتهم وأخوتهم.

التعليق:

(**بشاشة الوجه**)؛ أصل حُسن الخُلُق الفعلي.

(**ولُطف اللسان**)؛ أصل حُسن الخُلُق القولي.

ولين الجانب: أصلٌ في التعامل.

فإذا رزقك الله بشاشة الوجه وحُسن الألفاظ ولِين الجانب؛ فأنت أنت، ومَن الذي يستطيع أن يجمع هذه الأمور فإنه يحق أن يُصحب، هذا الرجل إذا وجدته ينبغي أن تلزمه وأن لا تترك صحبته أبدًا.

ومعنىٰ: (**سعة القلب**)؛ أي: إظهار المحبة والمودة له.

ومعنىٰ: (**بسط اليد**)؛ أي: الكرم والجود.

(**وكظم الغيظ**)؛ أي إذا رأيتَ منه عثرة تكظم غيظك عنه.

(**وترْك الكِبر**)؛ عليهم.

(**وملازمة الحُرمة**)؛ أي: بمعنىٰ: أنك وإن صاحبتهم إياك أن تنسىٰ الاحترام، الحُرمة هنا بمعنىٰ: الاحترام والتوقير، و(**ملازمة الحُرمة**)؛ أي: ملازمة الاحترام والتوقير.

وكلمة الحرمة والاحترام والتوقير ليست كلمات عربية فصيحة؛ لكنها عربية قياسية؛ لأنَّ كلمة الاحترام في العربية الفصيحة يقابلها: التوقير، وهو منطوق القرآن: ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ [**سورة الفتح من الآية: ٩**].

وأمَّا كلمة الاحترام أو الحُرمة: فهذه كلمةٌ مولَّدةٌ قياسًا.

(**وإظهار الفرح بما رُزِقَ من عِشرتهم وإخوانهم**)؛ أي بمعنىٰ: أنه يحمد الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ أنَّ الله رزقه أصحابًا وإخوانًا مثل هؤلاء، ويبيِّن ذلك لهم، ويقول لهم: «الحمد لله أنَّ الله رزقني أمثالكم».

المتـــن:

ومنها: ألَّا يصحب إلَّا عالمًا، أو عاقلًا فقيهًا حليمًا.

قال ذو النون رحمة الله عليه: «ما خَلَعَ الله علىٰ عبدٍ من عبيده خِلعةً أحسن من العقل، ولا قلَّده قِلادةً أجمل من العلم، ولا زيَّنه بزينةٍ أفضل من الحِلم، وكمال ذلك التقوىٰ».

وقال عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «من سعادة المرء أن يكون إخوانه صالحين».

التعليق:

بالنسبة لمصاحبة العلماء يقول بعض المفسِّرين: «إنَّ كلب أصحاب الكهف تشرَّف بصُحبة أصحاب الكهف فصار له ذِكرٌ في القرآن؛ فكيف بمَن يتشرَّف بصُحبة العلماء؟» نسأل الله أن يرزقنا وإياكم صحبة أهل العلم.

(**أو عاقلًا فقيهًا حليمًا**)؛ فلا تصحب عالمًا سفيهًا، ولا عالمًا طائشًا؛ ينبغي أن تصحَب العالِم الفقيه الحليم حتىٰ تستفيد منه.

وقول ذو النون المصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ما خلَعَ الله على عبدٍ من عبيده خِلعةً أحسن من العقل)**؛ هذا لا شك أنه يميِّز العقلاء عن المجانين، فلولا العقل لَمَا عُرِفَ الفرق بين البهائم وبين الناس، ولذلك فإن «العقل مناط التكليف» كما يقول الأصوليُّون.

قال: **(ولا قلَّده قِلادة أجمل من العلم)**؛ العلم من أجمل ما يتزيَّن به الإنسان، والأمر كما قال الناظم:

العِلمُ يَبني بيتاً لا عِمادَ لَهَا — والجَهلُ يَهدِمُ بَيتَ العِزِّ والكَرَمِ

ولذلك لو تتأمَّلون في تاريخ العلماء؛ مثلًا تقرؤون «محمد بن إسماعيل البخاري» حينما تنظر ما الذي زيَّنه وجمَّله ورَفَعَ قدره دون البخاريين غيره؟ العلم.

وعندما تقرأ: «مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري».

قشيْري: قبيلة من قبائل العرب.

ونيسابور: بلدة من بلاد فارس.

أين القشيْريون الآخرون؟

أين النيسابوريون الآخرون؟ لا نعرفهم.

ما الذي جمَّله وزيَّنه؟ إنه العلم.

(ولا زيَّنه بزِينة أفضل من الحِلم)؛ فالعلم جمالٌ، والحِلم زينة الفتى.

وأمَّا الحديث الذي نسَبَه إلى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «من سعادة المرء أن يكون إخوانه صالحين»؛ فهذا حديثٌ لا يصح.

المشكلة في علماء هذا القرن الذي عاش معهم «الغِزِّي» مع الأسف الشديد أنهم يرون بعض الأحاديث - وإن لم يكن لها أصول - ينسبونها إلى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإذا قِيل لأحدٍ: لماذا تنسبون هذا إلى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

يقولون: «ثَبَتَ لنا ذلك بطريق الرؤيا»؛ وهذا باطل، فلا يجوز أن ننسب حديثًا إلى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من طريق الرؤيا، وإن شهِدَ له القرآن والسُّنَّة؛ لأنَّ أحاديث النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحي، ولا يجوز التقوُّل على الله وعلى رسول الله، ومَن أظلم ممن يزعم أنَّ رسول الله قال كذا أو أنَّ

الله قال كذا، والله لم يقُل ورسوله لم يقُل، هذا افتراء على الشرع، وهو نحوٌ من افتراءات أهل الزيغ والضلال - نسأل الله السلامة والعافية-.

المتـــن:

ومنها: سلامة قلبه للإخوان، والنصيحة لهم، وقبولها منهم؛ لقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[سورة الشعراء، من الآية:٨٩].

وقال السقطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (من أجلِّ أخلاق الأبرار: سلامة الصدر للإخوان والنصيحة لهم).

التعليق:

بالنسبة للنصيحة: هذا حق المسلم على المسلم، فإذا كان هو صاحبه وهو أخوه فصارت النصيحة بالنسبة إليه عليك أوجب وأوجب؛ فينبغي أن تناصح، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الدِّين النصيحة، الدِّين النصيحة، الدِّين النصيحة**» كما عند أبي داود ثلاث مرات، وفي مسلم مرة واحدة قلنا: لَمن؟ قال: «**لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم**» فدخَلَ في عامَّتهم وجوب النصيحة لهم.

فإذا كان أخوك وصاحبك؛ فصارت النصيحة أوجب وأوجب.

وقوله: استدلالًا بقوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[سورة الشعراء، من الآية:٨٩]، قال: هو الذي يأتي وليس في قلبه شيءٌ على إخوانه، هذا تفسير الآية ببعض معانيه؛ وإلَّا فإنَّ المعنى المراد المسُوق من أجله الآية: إلَّا مَن أتى الله بقلبٍ سليمٍ من الشِّرك.

المتـــن:

قال: ومنها: ألَّا يعدهم ويخالفهم؛ فإنه نفاق.

قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**علامة المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذَب، وإذا وعَدَ أخلف، وإذا ائتُمِنَ خان**».

وقال الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا تعِدْ أخاك وتخلفه فتعود المحبة بُغضة»، وأنشدوا:

يَا وَاعِـدًا أَخْلَـفَ فِي وَعْـدِهِ ... مَا الخُلْفُ مِنْ سِيرةِ أَهْلِ الْوَفَا

مَا كَانَ مَا أَظْهَـرْتَ مِـنْ وُدِّنـا ... إِلَّا سِرَاجًـا لَاحَ ثُـمَّ انْطَفَـا

التعليق:

الخُلْف في الوعد، أو الحِنث في الوعد، أو عدم الوفاء بالوعود والعهود؛ هذه منقسمة إلى قسمَيْن:

إن كان الإنسان يعِدُ ويعهد ويعاهد وفي قرارة نفسه أنه لن يفِيَ؛ فهذا هو النفاق بعيْنه، وهو الذي قال عنه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**آية المنافق ثلاث: إذا وعَدَ أخلف**».

أمَّا إذا وعَدَ الإنسان أو عاهَدَ وفي قرارة نفسه أنه سيفِي ثم جاءه أمرٌ طارئ خارج عن إرادته؛ فحينئذٍ لا يُؤاخذ؛ ولكن من حُسن العِشرة أنه يتأسَّف لِمَا حصل، ويبيِّن عُذره حتى لا يكون ممن يعِدُ ثم يُخلِف.

المتـــن:

ومنها: صُحبة مَن يُستحيا منه؛ ليزجره ذلك عن المخالفات.

فقد قال عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أحيوا الحياء بمجالسة مَن يُستحيا منه».

وقال أحمد بن حنبلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «ما أوقعني في بليةٍ إلَّا صُحبة مَن لا أحتشمه».

التعليق:

لا شك أنَّ الإنسان إذا صحِبَ مَن يحتشمه وصحِبَ مَن يستحي منه؛ فإنه يكون على خير.

المتـــن:

ومنها: أن يُراعي في صحبة إخوانه صلاحهم لا مرادهم، ودلالته على رُشْدهم على ما يحبُّونه.

قال أبو صالح المزِّي رَحِمَهُ اللَّهُ: «المؤمن مَن يعاشرك بالمعروف، ويدلُّك على صلاح دِينك ودنياك، والمنافق مَن يعاشرك بالمماذعة، ويدلُّك على ما تشتهيه، والمعصوم مَن فرَّق بين الحالَيْن».

التعليق:

ومن حقوق الصحبة والأخوة هو: أنَّ الإنسان يرشد أخاه للأمور الطيِّبة، يرشده إلى المعروف، ويدلُّهم للمعروف، ويحذِّرهم من المنكر، فهذا من الحقوق الواجبة وليست مندوبة ولا مستحبة؛ بل هي حقوقٌ واجبة؛ لأنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يقول: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾[**سورة العصر، من الآية:١-٣**].

المتـــن:

ومنها: أن لا تؤذي مؤمنًا، ولا تجاهل جاهلًا؛ لقوله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «**إنَّ الله يكره أذى المؤمن**».

وقال الربيِّع بن خيثمٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الناس رجلان: مؤمنٌ فلا تؤذه، وجاهلٌ فلا تجاهله».

التعليق:

بالنسبة لحقوق الأخوة «أنك لا تؤذي مؤمنا»؛ هذا عام وليس خاصًا بالأخوة، فلا يجوز أذية أي مؤمن، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بيَّن أنَّ أذية المؤمنين من صفات المنافقين؛ ولهذا قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[سورة النور، من الآية:١٩].

وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يا معشر مَن آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان إلى قلبه، لا تؤذوا المؤمنين، ولا تتبَّعوا عوراتهم؛ فمَن تتبَّع عورة امرئ مسلمٍ كشَفَ الله عورته**».

ولا ينبغي للإنسان أن يجاهل الجاهلين؛ بل يحلُم عن الجاهل كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾[سورة الفرقان، من الآية:٦٣].

وأمَّا قول: «إنَّ الله يكره أذىٰ المؤمن»؛ فهذا الحديث لا أعرف صحته، ولا أعرف ثبوته ولا أصله.

وأمَّا قول الربيع بن خثيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الناس رجلان: مؤمنٌ فلا تؤذه، وجاهلٌ فلا تجاهله»؛ فهذا من أحسن الأقوال.

المتـــن:

ومنها: مطالبة الإخوان بحُسن العِشرة حسَب ما يعاشرهم به؛ لقوله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «**لا يومن عبدٌ حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**».

قال الحكيم: «صفوة العِشرة للخلْق: رضاك عنهم بمثل ما تعاشرهم به».

وقال أبو بكرٍ بن عياش رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اطلب الفضل بالإفضال منك؛ فإنَّ الصنيعة إليك كالصنيعة منك».

التعليق:

من حقوق الأخوة: (**مطالبة الإخوان بحُسن العِشرة**)؛ فأنت تطلب منهم حُسن العِشرة؛ ولكن لا بد أن تنتبه أنَّ هذه المطالبة لا بد أن تكون مسبوقةً منك بأحسن عِشرةٍ، فإنه لا يصح أن تطالب الناس: « أن يعاملوك بأحسن ما تريد»، وأنت لا تعاملهم بأحسن ما يريدون.

ولهذا قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لَمَّا قال له ذاك الصحابي: يا رسول الله، دلَّني على عملٍ إذا عملته أحبَّني الله وأحبَّني الناس! قال: «**ازهد في الدنيا يحبّك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس**».

تجد بعض الناس يقول لك: «أتريد شيئا؟ تأمر بشيء؟» تطلب منه شيئا وهو أخوك وصاحبك، وإذا طلبتَ منه ابتعد عنك؛ إذًا لا تطلب أحسن.

كلما تركتَ حاجة الناس كلَّما أحبُّوك أكثر.

كلما طلبتَ من الناس كلَّما قلَّت محبتك في قلوبهم لا سيما ممن لا يعرفون حقوق الأخوة والصحبة.

ولذلك ينبغي على الإنسان أن يعامل الناس بحُسن العِشرة، وأن يطلب منهم المعاملة بحُسن العِشرة.

وقول أبي بكر بن عياش رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما طلَبَ الفضل بالإفضال؛ فإنَّ الصنيعة إليك كالصنيعة منك»؛ يعني هذا كلام حسن: أنَّ الإنسان إذا أراد الفضل فعليه أن يُفضِل، وإذا أراد الصنيعة فعليه أن يصنع.

فأنت عندما تصنع لإخوانك تجد صنيعة ذلك.

وعندما تتفضَّل على إخوانك تجد فضل ذلك.

إذا لم تجده في العاجلة تجده في الآجلة عند الله (سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ).

المتـــن:

ومنها: قول عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «ثلاثٌ يصفِين لك وُدَّ أخِيك: أن تسلِّم عليه إذا لقيته، وتوسِّع له في المجلس، وتدعوه بأحب أسمائه إليه».

التعليق:

هذه الأمور الثلاثة التي ذكَرَها المصنف من قول عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هي من الأمور التي تقوِّي الصُّحبة والأخوة وهي:

- أنك إذا لقيته تُسلِّم عليه بأحسن نوع السلام.
- وإذا دخَلَ عليك المجلس توسَّع له بجوارك.
- وإذا ناديْته تناديه بأحب أسمائه إليه.

المتـــن:

ومنها: حملُ كلام الإخوان على أحسن الوجوه ما وجدتَ ذلك.

قال سعيد بن المسيَّب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كتَبَ إليَّ بعض إخواني من الصحابة أن ضع أمر أخِيك على الأحسن ما لم تغلِب».

التعليق:

هذا مرَّ ذِكرُه، والترضِّي عن التابعين والترضِّي عن العلماء، والترضِّي عن بعض الناس؛ يجوز، ولكن الترضِّي أصبح شعارًا للصحابة رضوان الله عليهم والترحُّم لغيرهم.

والسلام على الأنبياء والمرسلين، والصلاة والسلام على نبينا محمد (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ).

المتـــن:

ومنها: معرفة اسم الإخوان واسم آبائهم؛ لئلَّا تقصِّر في حقوقهم، فقد قال ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: رآني النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ألتفت، فقال: «**إلام تلتفت؟**» قلتُ: إلى أخٍ لي أنا في انتظاره، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إذا أحببتَ رجلًا فسلْهُ عن اسمه، واسم أبيه وجدِّه وعشيرته ومنزله، فإن مرِضَ عُدتَه، وإن استعان بك أعنْتَه**».

التعليق:

معرفة اسم الإخوان واسم آبائهم هذا أمرٌ حسن:

- حتى تكون العلاقة أقوى والرباط أعظم.
- وأيضًا قد يكون ذلك سببًا لمعرفة القُرب والبُعد منك.

- وأيضًا لأداء الحقوق فيما لو مرِضَ أحدٌ كيف تسأل الناس: أين فلان؟ ماذا تقول وأنت لا تعرف اسمه ولا اسم أبيه؟

وأمَّا ما ذَكَرَه من قصة عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ فلم أقف له على إسناد.

المتـــن:

قال: ومنها: مجانبة الحقد، ولزوم الصفح والعفو عن الإخوان.

قال هلال بن العلاء: جعلتُ على نفسي ألَّا أُكافئ أحدًا بِشَرٍّ ولا عقوقٍ اقتداءً بهذه الأبيات:

لَمَّا عَفَوْتُ وَلَمْ أَحْقِدْ عَلَى أَحَدٍ ... أَرَحْتُ نَفْسِيَ مِنْ غَمِّ الْعَدَاوَاتِ

إِنِّي أُحَيِّي عَدُوِّي حِينَ رُؤْيَتِهِ ... لِأَدْفَعَ الشَّرَّ عَنِّي بِالتَّحِيَّاتِ

وَأُظْهِرُ الْبِشْرَ لِإِنْسَانٍ أُبْغِضُهُ ... كَأَنَّهُ قَدْ حُشِي قَلْبِي مَسَرَّاتِ

وأنشد أحمد بن عُبَيْدٍ عن المدائني:

وَمَنْ لَمْ يُغْمِضْ عَيْنَهُ عَنْ صَدِيقِهِ ... وَعَنْ بَعْضِ مَا فِيهِ يَمُتْ وَهُوَ عَاتِبُ

وَمَنْ يَتَتَبَّعْ جَاهِدًا كُلَّ عَثْرَةٍ ... يَجِدْهَا وَلَا يَسْلَمْ لَهُ الدَّهْرُ صَاحِبُ

التعليق:

إذا أردتَ إنسانًا بلا عيْب فأنت لا تستطيع أن تجده؛ لأنَّ الإنسان خَلَقَهُ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى وفيه من المعايب ما فيه، وما كمُلَ من الرجال إلَّا القِلَّة، وكمال الخُلُق بكمال الإيمان، وكمال الإيمان بكمال الخُلُق، وكلَّما نَقَصَ الخُلُق نَقَصَ الإيمان، وكلَّما نَقَصَ الإيمان نَقَصَ بقدْرِ ذلك الخُلُق.

المتـــن:

ومنها: ملازمة الأخوة، والمداومة عليها، وترْكُ الملل، فقد قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**أحبُّ الأعمال إلى الله أدومُها وإنْ قلَّ**».

وقال محمد بن واسع: «وليس لِمَلولٍ صديقٌ ولا لحاسدٍ غَناءٌ».

التعليق:

يعني: إنك إذا اتَّخذت صاحبا واتَّخذت أخا؛ فينبغي أن تداوم على صحبته وأخوته، فلا تغير وتبدل كل يوم صاحبا ما تكون، حيث تجد نفسك في النهاية بلا صاحب، الناس يعرفونك بهذا! لا، إذا

لازمتَ وانتقيْتَ وانتخبتَ وصار لك صاحبٌ فلازمه وداوِم على ذلك حتى تموتا أو تفترقا على خير، أو تسافر.

وحديث: «**أحبُّ الأعمال إلى الله أدومها وإن قلَّ**» وإن كان وَرَدَ في العبادات؛ لكن هذا الحديث على عمومه وهو في الصحيح.

وقول محمد بن واسع رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**ليس لملولٍ صديق**)؛ هذا أمر مُشاهَد، نجد أنَّ الملول كل يوم عند أخ جديد، عند صاحب جديد.

(**ولا لحاسدٍ غَناء**)؛ الإنسان الحسود لو تعطيه الدنيا ليس له غَناء، لن يغتني أبدًا، **والغَناء**: مصدر من اغتنى، اغتنى فلان يغتني غَناءً.

المتـــن:

ومنها: الإغضاء عن الصديق في بعض المكاره، ويُنشَد:

صَبَرْتُ عَلَى بَعْضِ الْأَذَى خَوْفَ كُلِّهِ ... وَدَافَعْتُ عَنْ نَفْسِي بِنَفْسِي فَعَزَّتِ

فَيَا رُبَّ عِزٍّ سَاقَ لِلنَّفْسِ ذُلَّهَا ... وَيَا رُبَّ نَفْسٍ بِالتَّذَلُّلِ عَزَّتِ

وَجَرَّعْتُهَا المَكْرُوهَ حَتَّى تَجَرَّعَتْ ... وَلَوْ لَمْ أُجَرِّعْهَا كَذَا لَاشْمَأَزَّتِ

وأنشد ثعلبٌ:

أُغَمِّضُ عَيْنِي عَنْ صَدِيقِي تَجَسُّمًا ... كَأَنِّي بِمَا يَأْتِي مِنَ الْأَمْرِ جَاهِلُ

وَمَا بِيَ جَهْلٌ غَيْرَ أَنَّ خَلِيقَتِي ... تُطِيقُ احْتِمَالَ الْكُرْهِ فِيمَا تُحَاوِلُ

ولبعضهم:

إِذَا كُنْتَ فِي كُلِّ الْأُمُورِ مُعَاتِبًا ... صَدِيقَكَ لَمْ تَلْقَ الَّذِي لَا تُعَاتِبُهُ

فَعِشْ وَاحِدًا أَوْ صِلْ أَخَاكَ فَإِنَّهُ ... مُقَارِفُ ذَنْبٍ مَرَّةً وَمُجَانِبُهُ

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مِرَارًا عَلَى الْقَذَى ... ظَمِئْتَ وَأَيُّ النَّاسِ تَصْفُو مَشَارِبُهُ

التعليق:

لا بُدَّ للإنسان أن يهيئ نفسه على تحمُّل بعض الأذى في سبيل الأخوة والصُّحبة؛ لأنه لا يوجد إنسان كامل (كما مرَّ وذكرْنا هذا).

المتـــن:

ومنها: تَرْكُ الاستخفاف بأحدٍ من الخلْقِ، ومعرفةُ كلُّ واحدٍ منهم ليُكرَم على قدْرِه.

قال ابن المبارك: «مَن استخفَّ بالعلماء ذهبت آخرته، ومَن استخفَّ بالأمراء ذهبت دنياه، ومَن استخفَّ بالإخوان ذهبت مروءته».

التعليق:

ينبغي على الإنسان أن لا يستخِفَّ بأحد، فما يدريك أنَّ هذا الذي تستخفُّ به هو خيرٌ عند الله منك ومن أمثالك، **كيف تستخف بالناس؟!**

مهما رأيته على صورةٍ أو على حالةٍ أو على وصفٍ فلا تستخفَّ به، فربما أنت تستخفُّ به وهو عند الله خيرٌ من ملءِ الأرض من مثلك.

ولهذا قال ابن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**مَن استخفَّ بالعلماء ذهبت آخرته**)؛ لأنَّ الاستهزاء بالعلماء استهزاءٌ بالدِّين.

(**وَمَن استخفَّ بالأمراء ذهبت دنياه**)؛ لأنَّ الأمراء لا يتساهلون مع مَن يستخفُّ بهم.

(**ومَن استخفَّ بالإخوان ذهبت مروءته**)؛ صار الناس لا يثقون فيه؛ لأنهم يقولون: «ما له دِرْب».

المتـــن:

ومنها: ألَّا تقطع صديقًا بعد مصادقته، ولا تردَّه بعد قَبولِه.

شعرٌ:

لَا تَمْدَحَنَّ امْرأً حَتَّى تُجَرِّبَهُ ... وَلَا تَذُمَّنَّهُ مِنْ غَيْرِ تَجْرِيبِ

فَإِنَّ حَمْدَكَ مَا لَمْ تُبْلِهِ سَرَفٌ ... وَإِنَّ ذَمَّكَ بَعْدَ الْحَمْدِ تَكْذِيبِ

التعليق:

المقصود من هذا البيت:

لَا تَمْدَحَنَّ امْرأً حَتَّى تُجَرِّبَهُ ... وَلَا تَذُمَّنَّهُ مِنْ غَيْرِ تَجْرِيبِ

فَإِنَّ حَمْدَكَ مَا لَمْ تُبْلِهِ سَرَفٌ ... وَإِنَّ ذَمَّكَ بَعْدَ الْحَمْدِ تَكْذِيبِ

أنَّ الإنسان ينبغي عليه قبل أن يختار الصاحب والأخ عليه أن يُجِدُّ، وعليه أن يتريَّث، وعليه أن ينظر:

- هل هذا الذي تتَّخذه صاحبًا لك وأخًا لك يتحمَّل أذاك؟
- هل يحفظ أسرارك؟
- هل هذا الرجل أهل لأنْ تصحبه؟

فلا بُد أن تنظر لهذه الأمور، فإذا جرَّبته ورأيت أنه كذلك؛ فحينئذٍ صاحبه ولا تقطع صداقتك معه أبدًا.

المتـــن:

قال حمدون القصَّار: «اقبلوا إخوانكم بالإيمان، وردُّوهم بالكُفر؛ فإنَّ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى أوقَع ما بيْن هذيْن في مشيئته، وقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [سورة النساء، من الآية:٤٨] الآية.

التعليق:

كلام حمدون القصَّار أنَّ الأخوة لا تنقطع ما دام الإيمان موجود؛ لأنَّ الأخوة العامة (وهي أخوة الإسلام) لا تنقطع ما دام الإيمان والإسلام موجود؛ لأنَّ الله جَلَّوَعَلَا يقول: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ﴾[سورة الحجرات، من الآية:١٠]؛ وإنما تنقطع الأخوة بالكفر.

فمعنى هذا: أنَّ الأخ ربما قد يقع منه شيء من الذنوب والمعاصي، فأنت إذا لم تستطع إصلاحه؛ نعم تبتعد عنه؛ لكن تبقى الأخوة الإسلامية بينك وبينه.

المتـــن:

ومنها: ألَّا يضيِّعَ صداقة صديقٍ بعد وُدّ، فإنها عزيزة.

وكتَبَ عالِمٌ إلى مَن هو مثله: «أن اكتُب لي بشيءٍ ينفعني في عمري»؛ فكتَبَ إليه: بسم الله الرحمن الرحيم: «استوحش مَن لا إخوان له، وفرَّط المقصِّر في طلبهم».

وأشدُّ تفريطًا مَن ظفِرَ بواحدٍ منهم فضيَّعه، ولوجد أنَّ الكبريت الأحمر أيسر من وجدانه، وإنِّي أطلبهم منذ خمسين سنة، ولم أجد إلَّا نصف صديق.

والناس ثلاثة: معرفةٌ وأصدقاءٌ وإخوان: فالمعرفة: بين الناس كثيرة، والأصدقاء عزيزة، والأخ قلَّما يوجد.

التعليق:

وقد يقول قائلهم: مَن هو الأخ هذا الذي يشتكي منه هذا العالِم، ويقول: **(طلبته خمسين سنة لم أجده)؟**

الأخ الذي يشتكي منه هو الذي يرىٰ نفسه نفسك، يرىٰ ما في جيبه ما في جيبك، هذا هو الأخ الذي يتكلَّم عنه.

ولذلك كما قال هو: إنَّ الناس ثلاثة أقسام: معارف وأصدقاء وإخوان:

- **المعارف**: تعرفهم ويعرفونك، تعرف اسمه واسم أبيه، ومكان سكنه وإقامته.

هذا من المعارف، يعرفون وجهك، جاء فلان، ذهب فلان.

- **وأمَّا الأصدقاء**: فهم الذين يصادقونك في بعض الأشياء.
- **وأمَّا الأخ**: فهو الذي يؤاخِيك في كل صغيرةٍ وكبيرة، في الشدة والرخاء.

المتـــن:

ومنها: التواضع للإخوان، وترْك التكبُّر عليهم.

قال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إنَّ الله عَزَّوَجَلَّ أوحى إليَّ أن تواضعوا حتى لا يفخَر أحدٌ على أحد**».

وقال المبرِّد: النعمة التي يُحسَد صاحبها عليها: التواضُع، والبلاء الذي لا يُرحَم صاحبه: العُجْب.

التعليق:

التواضع مطلوب مطلقًا، والتواضع للإخوان وترْك التكبُّر عليهم هذا مما يُدِيم العِشرة والأخوة والصُّحبة.

والنبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ سيد المتواضعين عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ أوحىٰ الله إليه «**أن تواضَع حتى لا يفخَر أحدٌ على أحد**».

وقال عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ: «**لا فضْل لعربيٍّ على عجميٍّ، ولا لأبيض على أصفر إلَّا بالتقوى**».

المتـــن:

قال: ومن جوامعها: قول ابن الحسن الورَّاق، وقد سأل أبا عثمان عن الصحبة؛ قال: هي مع الله بالأدب.

ومع الرسول عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: بملازمة العلم واتباع السُّنَّة.

ومع الأولياء: بالاحترام والخدمة.

ومع الإخوان: بالبِشْر والانبساط وترْك وجوه الإنكار عليهم، ما لم يكن خَرْق شريعةٍ أو هتك حُرمة.

قال الله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [سورة الأعراف، الآية:١٩٩] الآية.

والصُحبة مع الجُهَّال بالنظر إليهم بعيْن الرحمة، ورؤية نعمة الله عليك إذ لم يجعلك مثلهم، والدعاء لله أن يعافيك من بلاء الجهل.

التعليق:

يعني: قول أبي عثمان الورَّاق رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن الصُّحبة: (هي مع الله بالأدب)؛ طبعًا هناك حقوق.

- **وهناك آداب مع الله** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ:
  - سواءً آداب في تلاوة القرآن.
  - وآداب في مخاطبة الله في الدعاء.
  - وآداب في الصلاة، وآداب في الذِّكر.

هذه كلها آداب مع الله (عَزَّوَجَلَّ).

- **وأمَّا الأدب مع النبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
  - فأعظم الأدب معه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: (**ملازمة العلم، واتباع السُّنَّة في كل صغيرةٍ وكبيرة**).
  - ومن الأدب مع رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الصلاة عليه.
  - واحترامه وتوقيره وتبجيله (عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ).
  - ونُصرته، ونصرة سُنَّته (عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ).

- **والأدب مع الأولياء والصالحين يكون:**
  - بالاحترام والخدمة.
- **ومع الإخوان:**
  - بالبِشر والانبساط.
  - وترْك وجوه الإنكار عليهم، ما لم يكن خَرْق شريعةٍ أو هتك حُرمة.

فإذا كان هناك منكر؛ فيجب إزالته.

المتـــن:

ومنها: حفظ المودة القديمة والأخوة الثابتة؛ لقوله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «**إنَّ الله يحب حفظ الوُدِّ القديم**».

ودخلت امرأةٌ على رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأدناها فقيل له في ذلك، فقال: «**إنها كانت تأتينا أيام خديجة، وإنَّ حُسْن العهد من الإيمان**».

وقال محمد المغازليُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مَن أحبَّ أن تدوم له المودة؛ فليحفظ مودة إخوانه القدماء».

ولبعضهم:

مَا ذاقَت النَّفْسُ عَـلَى شَـهْوَةٍ ... أَلَـذَّ مِـنْ حُـبِّ صَـدِيقٍ أَمِـينِ

مَـنْ فَاتَـهُ وُدُّ أَخٍ صَـالِحٍ ... فَـذَلِكَ المَغْبُـونُ حَـقَّ اليَقِـينُ

ولبعض الحكماء من السلف: «عاشِروا الناس: فإن عشتُم حنُّوا إليكم، وإن متُّم بكوا عليكم».

التعليق:

بالنسبة لـ (**حفظ المودة القديمة والأخوة الثابتة**)؛ هذه من سمات أهل المروءة، فإنَّ أهل المروءة لا ينسوْن إخوانهم ولو كانت الأخوة قديمة؛ وإنما يحفظون وُدَّهم.

ولذلك صحَّ عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**إنَّ حُسْنَ العهد من الإيمان**».

المتـــن:

وقال: ومنها: قول أبي عثمان الحيري، وقد سُئِلَ عن صُحبة السلامة فقال: «أن يوسِّعَ الأخُ على أخيه من ماله، ولا يطمع فيما له وينصفه، ولا يطلب الإنصاف منه، ويستكثر قليل بِرِّه، ويستصغر من منَّ به عليه».

ومنها: إيثار الإخوان بالكرامة على نفسه.

قال أبو عثمان: «مَن عَاشَر الناس ولم يكرمهم وتكبَّر عليهم، فذلك لقلة رأيه وعقله؛ فإنه يُعادي صديقه ويُكرم عدُوَّه، فإنَّ إخوانه في الله أصدقاؤه ونفسه عدوه».

ورُوِيَ عن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أنه قال: «**أعدَى عدوُّك نفسُك التي بين جنبيْك**».

وقال القاسم بن محمد: «قد جعَلَ الله في الصديق البارِّ عِوضًا من الرحم المُدبِر».

التعليق:

بالنسبة لإيثار الإخوان: ينبغي على الإنسان أن يؤثِر إخوانه بالكرامة، بعض الناس من عجائبه أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ إذا أنعَمَ عليه يُكرِم مَن ليس له بأخ ولا صاحب، وينسى إخوانه وأصحابه؛ هذا خطأ عظيم؛ فإنَّ من حقوق الأخوة: حفظ الإخوة بالإكرام.

وأمَّا ما ذَكَرَه حديثًا: «أعدى عدوُّك نفسك التي بين جنبيْك»، فهذا حديث لا أصل له.

المتـــن:

ومنها: معرفة حقوق الفقراء والقيام بحوائجهم، وأسبابهم.

قال ابن أبي أوفى: «كان رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ لا يأنف ولا يستكبر أن يمشي مع الأرملة والمسكين فيقضي حاجتها».

التعليق:

إذا كان لإنسان أخٌ فقير أو صاحبٌ فقير؛ فينبغي عليه أن يحفظ حقه، وأن يؤدي إليه ما يرفع عنه الحاجة بقدْر ما يستطيع.

وكذلك السير في عموم حقوق الفقراء والمساكين: هذا من الإيمان أصلًا.

المتـــن:

ومنها: ملازمة الأدب مع الإخوان وحُسْن معاشرتهم.

فقد قال الجُنيْد رَحِمَهُٱللَّهُ عندما سُئِلَ عن الأدب: «إنه حُسْن العِشرة».

والفرق بين عِشرة العلماء والجُهَّال قول يحيى بن مُعاذٍ الرازي: «إنَّ العلماء عبدوا الله بقلوبهم، والناس عبدوه بأبدانهم، والجُهَّال عبدوه بألسنتهم، وهم عبدوه بقلوبهم وأبدانهم وألسنتهم».

ومنها: حِفظ أسرار الإخوان، فقد قال النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**استعينوا على حوائجكم بالكتمان؛ فإنَّ كل ذي نعمةٍ محسود**».

وقال بعض الحكماء: «قلوب الأحرار قبور الأسرار».

وقِيل: (أفشىٰ رجلٌ لصديقٍ له سرًّا من أسراره، فلمَّا فَرَغَ قال له: حفظته؟ قال: لا؛ بل نسيته).

ولبعضهم:

لَيْسَ الكَرِيمُ الَّذِي إِنْ زَلَّ صَاحِبُهُ ... بَثَّ الَّذِي كَانَ مِنْ أَسْرَارِهِ عَلِمَا

إِنَّ الْكَرِيمَ الَّذِي تَبْقَى مَوَدَّتُهُ ... وَيَحْفَظِ السِّرَّ إِنْ صَافَى وَإِنْ صَرَمَا

ومنها: المشورة مع الإخوان وقبولها منهم، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ﴾ [**سورة آل عمران، من الآية:١٥٩**].

قال ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا لَمَّا نزلت هذه الآية قال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**إن الله ورسوله غنيَّان عنها؛ ولكن جعلها الله رحمةً لأُمَّتي، فمَن شاوَرَ منهم لم يُعدَم رُشْدًا، ومَن تَرَكَ المشورة منهم لم يُعدَم غيًّا**».

التعليق:

بالنسبة لحفظ الأسرار: هذا أمر واجب، فإنَّ مَن ائتمنك على سر فإنه يجب عليك أن تحفظه.

بل قال بعض العلماء: «إذا حدَّثك صاحبك وهو يلتفت فإنه سر؛ فلا يجوز أن تفشيه لأحد»، **فكيف إذا قال لك: إنه سر لا تُفشِهِ لأحد؟**

ومن أحسن ما تختبر به صاحبك وأخاك أن تنظر: هل يحفظ الأسرار أو لا؟

فإن كان كتومًا لسرِّك: فإنه يستحق وحرِيٌّ بأن يكون أخًا لك.

وأمَّا المشورة معهم: فإنَّ المشورة مع الإخوة والأصحاب من الأمور التي تُرشد الإنسان إلى الخير وإلى البركة، والله جلَّ وعلا قال لنبيه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: ﴿وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ﴾ [**سورة آل عمران، من الآية:١٥٩**]، والله أخبر عن المؤمنين فقال: ﴿وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ﴾ [**سورة الشورى، من الآية:٣٨**].

وأمَّا قول ابن عباس: (**غنيَّان عنها؛ ولكن جعلها الله رحمةً لأُمَّتي**)؛ فلا أعلم صحته.

المتـــن:

قال: ومنها: إيثار الإخوان، قال الله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [سورة الحشر، من الآية:٩] الآية.

وقِيل: سُعِيَ إلى بعض الخلفاء بالصوفية أنهم يرفضون الشريعة، فأَخَذَ منهم طائفةً، منهم أبو الحسيْن النُّوري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ فأَمَرَ بضرب أعناقهم.

قال: فبادَرَ أبو الحسين إلى السياف، فقال له السياف: ما لك بادرتَ دون أصحابك؟ فقال: أردتُ إيثار أصحابي بحياة هذه اللحظة، فكان ذلك سبب نجاتهم.

التعليق:

على كل حال.. بالنسبة لسعي بعض الخلفاء بالصوفية أنهم يرفضون الشريعة فالمقصود به: الذين يقولون بأنَّ الشريعة منقسمة إلى قسمين:

- شريعة.
- وحقيقة.

ويقصدون بالحقيقة يعني: ما هم توصَّلوا إليه بأذواقهم وأوجادهم، وهؤلاء هم الباطنية مثل: الحلَّاج وغيره، هؤلاء باطنية، فقتْل الخلفاء لهم هذا بلسان الشريعة، ما هو سياسة كما يظن بعض الناس، فالحلَّاج قُتِلَ بلسان الشرع، بحكم الشرع، ليس كما يُروَّج اليوم بأنه قُتِلَ بحُكم السياسة. هذا خطأ.

وهؤلاء الذين يزعمون أنَّ للدِّين حقيقة وشريعة هم الباطنية، وإن سَمُّوا أنفسهم صوفية؛ فإنَّ هذا لا يعني أنهم صوفية؛ لأنَّ أصل الصوفية هم الزُّهَّاد.

فإذا كان المقصود بالتصوُّف التزهُّد: هذا لا بأس به.

أمَّا إذا كان المقصود بالتصوُّف: هم الذين يعتقدون أنَّ الشريعة لها حقيقة ولها ظاهر وباطن؛ فهذا هو المذموم الذي ذمَّه العلماء، وهم الذين سعى الخلفاء في قتلهم؛ لأنهم أرادوا إفساد دِين محمد (صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ).

وهذه القصة لا أصل لها؛ ولكن هل للإنسان أن يؤثر الأرفاق على الإخوان؟ هذا مخالف لِمَا مرَّ معنا قبل، هذا الكلام فيه نظر.

يعني: إذا كان عندك شي وعندك صاحبك وعندك رفيق لصاحبك؛ فمَن تؤثِر؟ صاحبك؛ هذا عقلًا وشرعًا؛ فكيف الآن يأتي ويقول: وإيثار الأرفاق على الإخوة؟ يعني: رفيق الأخ تقدِّمه على الأخ، هذا غير صحيح، فلا ينبغي للإنسان أن يقرِّب البعيد ويترك القريب؛ لأنَّ تقريب البعيد لا يعني كسْبه، وترْك القريب يعني وحشةً في القلب.

المتـــن:

ومنها: التخلُّق بمحاسن الأخلاق، قال أبو محمدٍ الحريري: (كمال الرجل في ثلاثة: الغُربة، والصُّحبة، والفطنة: فالغُربة لتذليل النفس، والصُّحبة للتخلُّق بأخلاق الرجال، والفطنة للتمكين).

قال: ومنها: قلة مخالفة الإخوان في أسباب الدنيا؛ لأنها أقل خطرًا من أن يُخالف فيها أخٌ من الإخوان.

قال يحيى بن معاذٍ الرازي: (الدنيا بأجمعها لا تساوي غمَّ ساعة؛ فكيف بغمِّ طول عمرك وقطْع إخوانك بسببها مع قلة نصيبك منها؟!).

التعليق:

الدنيا لا تساوي عند الله جناح بعوضة؛ فكيف لأجلها تُقاطع إخوانك؟! كيف لأجلها تخالف إخوانك؟!

الدنيا بأجمعها لا تساوي جناح بعوضة عند الله؛ فكيف تقطع رحمك، وصُحبتك، وأخوتك لأجلها؟! عجبًا والله!

المتـــن:

ومنها: أن تُصاحب الإخوان على الوفاء والدِّين دون الرغبة والرهبة والطمع.

قال الحريريُّ: (تعامل القرن الأول فيما بينهم بالدِّين زمانًا طويلًا حتى رقَّ الدِّين، ثم تعامل القرن الثاني بالوفاء حتى ذهب الوفاء، ثم تعامَل القرن الثالث بالمروءة حتى ذهبت المروءة، ثم تعامل القرن الرابع بالحياء حتى ذهَبَ الحياء، ثم صار الناس يتعاملون بالرغبة والرهبة).

قال الشيخ: وكنتُ أستحسنها له حتىٰ رأيتُ مثلها للشعبي، وأظنُّه زاد، وسيأتي ما هو أشد.

التعليق:

رحِمَ الله زماننا الآن، يعني زمان الصحابة كانوا يتعاملون بالوفاء والدِّين.

والوفاء هو: إعطاء الحقوق علىٰ أكمل وجه.

ثم رقَّ الدِّين في القرن الثاني فصاروا يتعاملون بالوفاء، ما هم يتعاملون فقط ديانةً، لا؛ بالوفاء فقط.

ثم رقَّ الدِّين فصار الناس يتعاملون رجولةً (مرجلة)، مثل ما نقول نحن: مرجلة، فلان فيه رجولة: ما يرضى بكذا وكذا.

ثم ذهبت الرجولة وأصبح الناس يتعاملون بالحياء.

ثم ذهَبَ الحياء فصار الناس لا يتعاملون إلَّا بالرغبة والرهبة، وهذا الزمان الذي نعيشه اليوم، الناس لا يتعاملون إلَّا بالرغبة والرهبة، إذا عندك شيء يأتونك؛ وغذا لم يكن عندك شيء لا يعرفونك، فهم إنما يأتون إلىٰ الناس راغِبين أو راهبين فقط.

أحدهم يأتي ويمدح ويصحب فلانا، ويجلس مع فلان رغبةً ورهبة، هذا يجلس عند فلان رغبةً في التزكية.

وهذا يجلس لفلان رهبةً من قِيلِهِ فيه، هذا حال الناس (نسأل الله السلامة والعافية).

وهذا يجلس عند فلان رغبةً في دنياه.

وهذا يجلس عند فلان رهبةً من سطوته وسلطنته، ونحو ذلك.

ولذلك اليوم من عجائب ما رأيت: أحد السنوات حجَّ معي رجل يظهر عليه سمات الوقار، فسلَّمت عليه وجلست معه وصار يفضفض لي، فقال: أنا يوم كنت وزيرًا؛ يقول: والله ما أعرف أين أذهب؟ في كل مكان أذهب إليه يقول: حولي الناس (يمين- يسار- فوق) أجلس، أدخل، أطلع، يقول: الآن من يوم تركت أمور الدنيا؛ يقول: لا أعرف أحدا، من البيت للمسجد ومن المسجد للبيت.

هذا زمان الدنيا: لا يتعاملون إلَّا بالرغبة والرهبة.

المتـــن:

ومنها: تَرْكُ المداهنة في الدِّين مع مَن يعاشره.

قال سهل بن عبد الله التستري: (لا يشُمُّ رائحة الصدق مَن داهَنَ نفسه أو غيره).

التعليق:

ما معنى (المداهنة): المداهنة محرَّمة، ما معنى المداهنة؟

المداهنة: تنقيصٌ في الدِّين لأجل الدنيا، أو قبول النقص في الدِّين لأجل الدنيا، السكوت عن الباطل لأجل الدنيا هذه هي المداهنة؛ فلا يجوز لمسلمٍ أن يُداهِن في دِين الله عَزَّوَجَلَّ، فإن داهَنَ فقد نَقَصَ إيمانه.

المتـــن:

قال: ومنها: قلة الخلاف على الإخوان، وتحرِّي موافقتهم فيما يريدون في غير مخالفة الدِّين والسُّنَّة.

قال جويريةُ: (دعوتُ الله أربعين سنةً أن يعصمني من مخالفة الإخوان).

التعليق:

هذا مرَّ ذِكْرُه لا أدري لِمَ ذَكَرَه؟

المتـــن:

ومنها: القيام بأعذارهم، والذَّبُّ عنهم، والانتصاب لهم.

التعليق:

هذا من أعظم حقوق الإخوة وهو: (**القيام بأعذارهم، والذَّبُّ عنهم، والانتصاب لهم**)؛ ينبغي للإنسان يذُبُّ عن إخوانه وأن يدافع عنهم.

المتـــن:

كما قال الجُنَيْد رَحِمَهُ ٱللَّهُ وقيل له: ما بال أصحابك أكلهم كثير؟ قال: لأنهم لا يشربون الخمر فيكون جوعهم أكثر، وقِيل له: ما بالهم لهم قوةٌ وشهوة؟ قال: لأنهم لا يزنون ولا يدخلون تحت محظور، قِيل: فما بالهم لا يطرَبون إذا سمعوا القرآن؟ قال: لأنه كلام الحق، ما فيه ما يوجب الطرَب، نزَلَ بأمرٍ

ونهيٍ، ووعدٍ ووعِيد فهو يقهر، قِيل: فما بالهم يطربون عند القصائد؟ قال: لأنَّها مما عملت أيديهم، قِيل: فما بالهم يطربون عند الرباعيات؟ قال: لأنها من كلام المحبين والعُشَّاق.

التعليق:

(**الرباعيَّات**)؛ هي: نوعٌ من أنواع الشعر يقوله أهل التصوُّف وأهل الزُّهد، وفيه دلالة على أنهم يحبون الله ويعشقون الله، لكن هذا كله من البِدَع.

المتـــن:

قِيل: فما بالهم محرومون من الناس؟ قال: قد قال أستاذنا القصَّار إذ سُئِلَ عن ذلك: لخلالٍ ثلاث:

أحدها: أنَّ الله لا يرضى ما لهم.

والثانية: أنه تعالى لم يرضَ حسناتهم بصحائف الناس.

والثالثة: أنهم قومٌ لم يسيروا إلَّا إلى الله، فمَنَحهم كلَّ ما سواه وأفردهم له.

التعليق:

هذا الكلام بأنهم (**محرومون من الناس**)؛ هو الانقطاع عن الناس.

الانقطاع عن الناس ليس مندحة ولا ممدحة ولا منقبة إلَّا في زمن الفتنة؛ فإنَّ الانقطاع عن الناس والرهبنة في زمن الفتنة مطلوبة.

أمَّا في غير زمن الفتنة: فمعاشرة الناس مطلوبة؛ لأنه يحصل فيه خيرٌ كثير.

المتـــن:

ومنها: احتمال الأذى، وقلة الغضب، والشفقة، والبسْط، والرحمة، لقوْل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للرجل إذ قال له: عِظْنِي وأوجِز! قال: «**لا تغضب**».

وقوله: «**من موجبات المغفرة: طِيب الكلام**»، وقوله: «**مَن لَا يَرحم لا يُرحَم**».

ومنها: الانبساط لإخوانه في النفس والمال، وألَّا يرى بينه وبينهم فرْقًا؛ لِمَا رُوِيَ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أنه كان ينبسطُ في مال أبي بكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ويحكُمُ فيه كانبساطه في ماله وحُكمه.

التعليق:

هذه من حقوق الأخوة الحقيقية: أنَّ الأخ يقضي في مال أخيه، ويرىٰ في مال أخيه ما يراه في مال نفسه؛ لكن هذا أندر من الكبريت الأحمر.

المتـــن:

قال: ومنها: مجانبة التباغض والتدابر والتحاسد؛ لقوله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «**لا تباغضوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانًا**»، فأمرَهم بإسقاط ذلك في حق الأخوة، ونزَّهها عن هذه الخِصال الذميمة.

ومنها: التآلف مع الإخوان علىٰ بُغض الدنيا؛ فإنه لا يقع بينهم المخالفة إلَّا بسببها.

وقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**المؤمن مألوفٌ، ولا خيرَ فيمَن لا يألَفُ ولا يُؤلَف**».

التعليق:

هذا الحديث: (**المؤمن مألوف، ولا خيرَ في مَن لا يألَف ولا يُؤلَف**)؛ حديث ضعيف.

المتـــن:

ومنها: أدب العِشرة مع النسوان والأهل؛ لأنَّ الله خلَقَهُنَّ ناقصات عقلٍ ودِينٍ؛ فيعاشرهنَّ بالمعروف علىٰ حسَبِ ما جبَلَهُنَّ الله عليه.

ولذلك جعَلَ الله سبحانه شهادة امرأتَين كشهادة رجلٍ واحد، وقال عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «**ما رأيتُ من ناقصات عقلٍ ودِينٍ أذهب بعقول الرجال وذوي الألباب منكُن**» الحديث، وقال عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «**خيركم خيركم لأهله**».

وقال علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «عقلُ المرأة جمالها، وجمال الرجل عقله».

وسُئِلَ أبو جعفرٍ عن قوله تعالىٰ: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [**سورة النساء ، من الآية:١٩**]، فقال: هو: حُسْنُ الصُّحبة مع مَن سألتَ ومَن كرهتَ صحبتها.

التعليق:

يعني: الإنسان ينبغي عليه أن يُحسن إلىٰ أهله، يحسن إلىٰ زوجته، إلىٰ أولاده؛ فإنَّ حُسْن العِشرة معهم من أحسن الدلالات علىٰ كمال الإيمان وعلىٰ كمال الخُلُق.

ولهذا إذا كان الرجل حَسَن المعشَر مع الناس، وسيء العِشرة مع أهل بيته: هذا معناه أنه رجل ليس فيه خير؛ لأنَّ النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال: «**خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي**».

المتـــن:

ومنها حُسن العِشرة مع الخادم؛ لقول رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**هم إخوانكم جعَلهم الله تحت أيديكم، فأطعموهم مما تأكلون، واكسوهم مما تلبسون، ولا تكلِّفوهم ما لا يطيقون**».

وكان آخر كلامه عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ وهو محتضرٌ: «**الصلاة وما ملكت أيمانكم**».

وقال أنسٌ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ: «خدمتُ رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ عشر سنين، فما قال لشيءٍ فعلته: لِمَ فعلته؟ ولا لشيءٍ لم أفعله لِمَ لَمۡ تفعله».

وقال رجلٌ: يا رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ما حقُّ جاري عليّ؟ قال: «**تفرشه معروفك، وتجنِّبه أذاك، وتُجيبه إذا دعاك**».

ومنها: العِشرة مع أهل الأسواق والتجَّار ألَّا تُخلِف وعدهم، وتعذِرَهم في خُلْف الوعد؛ إذ لا يمكنهم الخروج من حقك إلَّا في الوقت الذي يسَّره الله، وتعلَمُ أنَّ جلوسك على الحانوتِ غاية طلب الدنيا، وتعذُّرهم في ذلك لأجل قضاء دَيْنٍ أو نفقةٍ على عيالٍ أو أبوَيْن؛ فالجلوس في الحانوت في حقك نقص، وفي حقهم عُذْر.

فإن جاء أحدٌ يشتري منك شيئًا فالله سائقه إليك لرزقك؛ فلا تشُبْ بيْعك بحلِفٍ ولا كذبٍ ولا خنًى لئلَّا تحرِمَ بهذه الأمور ما رزقك الله حلالًا مقدَّرًا.

واحمد الله على ربحك، وافرح برِبح أخِيك كفرحك برِبحك؛ لقوله عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ: «**لا يجد العبد حلاوة الإيمان حتى يحب لأخيه ما يحبُّ لنفسه**».

وإذا أمسكتَ الميزان فاذكُر ميزان القِيمة، وما عليك من الحق، واحذر التطفيف لقوله تعالى: ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ﴾ [**سورة المطففين، الآية:١**].

وأنظِر مُعسِرًا عن مال الله؛ لقوله تعالى: ﴿فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيۡسَرَةٖ﴾ [**سورة البقرة، من الآية:٢٨٠**]؛ فقد جعل الله له أمانًا ومُهلَة.

وأقِلَّ من استقالك؛ لقوله عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ: «**مَن أقَال نادمًا بيْعته أقال الله عثرته يوم القيامة**».

التعليق:

ومعنىٰ (**أقِلَّ مَن استقالك**)؛ يعني: إذا بِعْتَ بيعةً أو عقدتَ عقدًا أو عاهدتَ عهدًا ثم جاءك الإنسان نادمًا يريد أن تنقُض هذه البيْعة أو هذا العهد، فأنت قبِلْتَ منه ذلك؛ فهذا معناه: قَبول استقالة، هذا معنىٰ قَبول الاستقالة.

ولذلك صحَّ عنه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنه قال: «**مَن أقال نادمًا بيْعته أقال الله عثرته يوم القيامة**».

المتـــن:

وأرجِحْ لِمَن وزنتَ له، فإنَّ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لوزَّانٍ وَزَنَ لصاحب حقٍّ: «**أرجِح**»، وإذا وزِنتَ لنفسك فأنقِص لتيقُّن وجه الحِلّ.

واحذر المطلَ مع اليَسَرة؛ لقوله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «**مطْلُ الغني ظلم**».

التعليق:

(**مطْلُ الغني ظلم**)؛ وهذا عام، فالمماطلة في الحقوق ظلم، فأيُّ حقٍّ ماطلْتَ فيه فأنت وقعتَ في الظُّلم؛ لكن متىٰ لا يكون المطْلُ ظلمًا؟ إذا لم يكُن صاحبه غنيًّا، أي: قادرًا علىٰ الأداء.

المتـــن:

ولا تمدح سلعتك وتذُمَّ سلعة أخِيك فهو نِفاق.

والزم البِرَّ والصدق؛ لقوله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «**التُّجَّار فُجَّارٌ إلَّا مَن بَرَّ وصَدَق**».

التعليق:

(**التُّجَّار فُجَّارٌ إلَّا مَن بَرَّ وصَدَق**)؛ حديث ضعيف، وإن كان معناه صحيحًا.

المتـــن:

وشُبْ بيْعك بشيءٍ من الصدقة؛ لقوله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «**يا معشر التُّجَّار هذه البيوع يخالطها الحلِفُ والكذِب؛ فشوبوها بشيءٍ من الصدقة**».

واجعل خروجك للتجارة لتقضي حاجة المسلمين، فإنَّ رِزقك مقدَّرٌ بفضل الله.

التعليق:

(**فإنَّ رِزقك مُقدَّرٌ بفضل الله**)؛ الإنسان إذا أراد أن يخرج للتجارة عليه أن ينوي نية حسنة أنَّ الله إذا رزَقه يبني مسجدًا، يبني مدرسة، يُوقِف أوقافًا، انوِ هذه النيَّات الطيبة؛ وإلَّا فالرزق مكتوب.

المتـــن:

فإنَّ رِزقك مُقدَّرٌ بفضل الله، قال ابن المبارك: وتكون نيتك مباركةً عليك؛ لقوله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «**نية المؤمن خيرٌ من عمله**».

قال بعض الحكماء في معنى الخير: نيةٌ بلا عمل خيرٌ من عملٍ بلا نية.

التعليق:

هذا الحديث قلنا: لا يصح (**نية المؤمن خيرٌ من عمله**)؛ حديثٌ لا يصح ضعيف.

المتـــن:

ومنها: العفو عن هفوة الإخوان في النفس والمال دون أمور الدِّين والسُّنَّة؛ لقوله تعالى: ﴿وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ﴾ [**سورة النور، من الآية:٢٢**]، وقوله: ﴿وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [**سورة البقرة، من الآية:٢٣٧**].

ومنها: حُسْن الجوار، وأن يأمَنَك جارُك في أسبابه في نفسه ودِينه وأهله وماله وولده؛ لقوله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «**لا يؤمن أحدكم حتى يأمَن جارُه بوائقه**».

وقوله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «**ليس بمؤمنٍ مَن يشبَعُ وجاره إلى جانبِهِ طاوٍ**».

التعليق:

ومعنى (**طاوٍ**)؛ أي: أنه ينام وليس في بطنه شيء، يطوي على بطنه الجوع.

المتـــن:

وقوله: «لا تؤذِ جارَكَ بقتار قِدرِك»، ولا بلسانك أيضًا، ولا تحسده في شيءٍ من أحواله وأفعاله، وأشفِق عليه وعلى أهله وولده كشفقتك على نفسك وأهلك، واحفظ ماله كحفظ مالك.

التعليق:

إنَّ هذا لا يصح رفعُه إلى النبي (صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

المتـــن:

ومنها: طلاقة الوجه والاسترسال؛ لقوله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «**إنَّ الله يحبُّ الطلق الوجه، ولا يحبُّ العبوس**».

وقال عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «**مِن أخلاق المؤمنين والصدِّيقين والشهداء والصالحين السياسة إذا تزاوروا، والمصافحة والبِرُّ إذا التقوا**».

التعليق:

هذا الحديث لا يصح.

المتـــن:

ومنها: القيام بحُرْمة مَن هو دونه من الإخوان، فكيف بمَن هو فوقه أو مثله؛ لقوله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «**سيد القوم خادمهم**»؟

وقال يحيى بن أكثم: بِتُّ ليلةً عند أمير المؤمنين المأمون فانتبهتُ وأنا عطشان، فوَثَبَ من مرقده فجاءني بماء، فقلتُ: يا أمير المؤمنين، ألَا دعوْتَ بخادم؟ فقال: حدَّثني أبي عن أبيه عن عقبة بن عامرٍ الجُهَني رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**سيد القوم خادمهم**».

التعليق:

هذا الحديث ضعيف.

المتـــن:

ومنها: أن يشارك إخوانه في المكروه والمحبوب، لا يتلوَّن عليهم في الحالَيْن جميعًا.

التعليق:

(**سيد القوم خادمهم**)؛ حديث ضعيف؛ لكن لا يقبُح بالحاكم أو بالأمير، ولا يقبُح بالعالِم، ولا يقبُح بالكبير أن يخدُم ضيفانه.

المتـــن:

ومنها: أن يشارك إخوانه في المكروه والمحبوب، لا يتلوَّن عليهم في الحالَيْن جميعًا.

ومنها: ألَّا يمُنَّ على مَن يُحسِنُ إليه، ويشكر ما يصِلُ إليه منهم.

قال عروة: كَتَبَ رجلٌ إلى عبد الله بن جعفرٍ رقعةً، وجعلها في ثني وسادته التي يتَّكئ عليها، فقَلَبَ عبد الله الوسادة، فبصُرَ بالرقعة، فقرأها وردَّها إلى موضعها، وجعَلَ مكانها كيسًا فيه خمسمائة دينار، فجاء الرجل فدخَلَ عليه فقال له: قلبتَ النمرقة؟ فخُذْ ما تحتها، فأخَذَ الرجل الكيس وخرَجَ وهو يُنشد:

زَادَ مَعْرُوفَـكَ عِنْـدِي عِظَـمًا أَنَّـهُ عِنْـدَكَ مَيْسُـورٌ حَقِـيرٌ

تَتَنَاسَـــاهُ كَـــأَنْ لَمْ تَأْتِـــهِ وَهُوَ عِنْدَ النَّاسِ مَشْـهُورٌ كَبِـيرٌ

ومنها: ألَّا يقبَل على إخوانه قول واشٍ نمَّام، لقول الخليل بن أحمد: مَن نمَّ لك نمَّ عليك، ومَن أخبرك خبَّر غيرك أخبره بخبرك.

قال عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «**لا يدخل الجنة قتَّات**».

التعليق:

(**القتَّات**)؛ **هو**: الذي يقتات على القِيل والقال، هو الذي يتغذَّى على نقْل الكلام، والحديث صحيح: «**لا يدخل الجنة قتَّات**» رواه البخاري ومسلم.

المتـــن:

ومنها: الوفاء للإخوان في الحياة والوفاة، لقول بعض الحكماء: مَن لم يفِ للإخوان كان مغموز النسب.

التعليق:

ينبغي للإنسان أن يكون وفيًّا لأخيه حتى لو مات، لا ينبغي أن تنساه، وأقلُّ حقه عليك أن تدعو له، وأن تترحَّم عليه، وأن تستغفر له.

المتـــن:

ومنها: أن تكون الشفقة على الأخ الموافق أكثر من الشفقة على الولد.

قال أبو زائدة: كتَبَ الأحنف إلى صديقٍ له: أمَّا بعد..

فإذا قَدِمَ أَخٌ لك موافقٌ فليكن منك بمنزلة السمع والبصر، فإنَّ الأخ الموافق أفضل من الولد المخالف، ألم تسمع قول الله عَزَّوَجَلَّ لنوحٍ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في ابنه: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾ [سورة هود، من الآية:٤٦].

ومنها: الاجتهاد في ستْر عورات الإخوان وقبائحهم، وإظهار مناقبهم وكونهم يدًا واحدةً في جميع الأوقات، قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَثَلُ المؤمنين إذا التقيا كاليد تغسل إحداهما الأخرى**».

التعليق:

الحديث لا يصح: (**مَثَلُ المؤمنين إذا التقيا كاليديْن تغسل إحداهما الأخرى**)؛ لا يصح.

المتـــن:

وأُنشِدَ عن ثعلب:

ثَلَاثُ خِصَالٍ للصَّدِيق جَعَلْتُهَا ... مُضَارِعَةً للصَّوْمِ وَالصَّـلَوَاتِ

مُوَاسَـاتُهُ وَالصَّـفْحُ عَـنْ عَثَرَاتِـهِ ... وَتَرْكُ ابْتِذَال السِّرِّ فِي الخَلَوَاتِ

ولسعيد بن حمدان:

لَمْ أُؤَاخِـــذْكَ إِذ جَنَيْـــتَ لِأَنِّي ... وَاثِقٌ مِنْكَ بِالإِخَاءِ الصَّـحِيحِ

فَجَمِيـــلُ الْعَـــدُوِّ غَـــيْرُ جَمِيـــلٍ ... وَقَبِـيحُ الصَّـــدِيقِ غَـــيْرُ قَبِـيحِ

ومنها: ألَّا يهجر الأخ هجْرَ بُغضةٍ؛ بل هجْر استبقاءٍ لوُدِّه، وقطع مقالة واشٍ عنه، فقد وَرَدَ من طريقٍ عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**لا يحِلُّ لمسلمٍ أن يهجُرَ أخاه فوق ثلاثٍ، يلتقيان فيُعرِضُ هذا ويُعرِضُ هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام**».

التعليق:

بالنسبة للهجْر فإنَّ الإخوة ينبغي أن ننتبه أنَّ الهجْر دواء، والدواء إنما يُستخدم إذا كان ناجعًا ناجحًا.

أمَّا إذا كان الدواء لا ينجح ولا يفيد: فلا ينبغي استخدامه؛ ينبغي سلوك طريقٍ آخر في العلاج.

فالهجْر إذا كان ينفع فيُهجَر لعله أن يترُك هذه المعصية، هذا الذنب فيُهجَر، لكن إذا علِمتَ -لا سَمَحَ الله- أو القرائن المحتفة عندك أنك إذا هجرتَه ازداد في المعصية، أو أنك إذا هجرته ازداد في غيِّه؛ فحينئذٍ عدمُ هجرك أَوْلَى.

وأمَّا الهجْر فوق ثلاث فهو جائز؛ لكن لأجل العلاج والمصلحة الدِّينية؛ وأمَّا لأجل الدنيا فلا يجوز الهجْرُ فوق ثلاث أبدًا، ولو أخَذَ منك آلافًا مؤلَّفة، الملايين المملينة لا يجوز أن تهجُر أخاك المسلم فوق ثلاث لأجل الدنيا.

المتـــن:

ومنها: التودُّد للإخوان بالاصطناع إليهم والصفح عنهم، فقال عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «**اصنع المعروف إلى مَن هو أهله، فإن لم تُصِبْ أهله فأنت أهله**».

وقال عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «**رأس العقل بعد الدِّين التودُّد إلى الناس واصطناع المعروف إلى كلِّ بَرٍّ وفاجر**».

التعليق:

الحديثان لا يصحان.

المتـــن:

ويُنشَد لابن أبي النجم:

اصْنَعِ الخَـيْرَ مَـا اسـتطَعْتَ وَإِنْ ... كُنْـــتَ لَا تُحِـــيطُ بِكُلِّـــهِ

فَمَتَـــى تَصْـــنَعُ الْكَثِـــيرَ إِذَا ... كُنْـــتَ تَارِكًـــا لِأَقَلِّـــهِ

ومنها: الدوام للإخوان على حُسن عِشرة وإن وقعت بينهم وحشةٌ أو نُفرةٌ؛ فلا يُترَك كرمُ العهد، ولا يُفشِيَ الأسرار المعلومة في أيام الأخوة، ويُنشَدُ لبعضهم:

نَصِـلُ الصَّـدِيقَ إِذَا أَرَادَ وِصَـالَنَا ... وَنَصُـدُّ عِنْـدَ صُـدُودِهِ أَحْيَانًـا

إِنْ صَدَّ عَنِّي كُنْتُ أَكْـرَمَ مُعْـرِضٍ ... وَوَجَـدْتُ عَنْـهُ مَـذْهَبًا وَمَكَانًـا

لَا مُفْشِـــيًا بَعْـــدَ الْقَطِيعَـــةِ سِرَّهُ ... بَلْ كَـاتِمٌ مِـنْ ذَاكَ مَـا اسْـترعَانَا

إِنَّ الْكَـــــرِيمَ إِذَا تَقَطَّـــــعَ وُدُّهُ ... كَـتَمَ الْقَبِـيحَ وَأَظْهَـرَ الْإِحْسَـانَا

ومنها: التغافُل عن الإخوان.

قال جعفر بن محمد الصادق: عظِّموا أقداركم بالتغافُل.

التعليق:

(التغافُل) -أيها الإخوة- سواءً في التربية أو مع الإخوان، التغافُل هذا من العقل، فينبغي للإنسان أن لا يدقِّق في كل صغيرة وكبيرة، هذا معنى التغافُل.

معنى التغافل: أنك لا تُدقِّق في كل صغيرة وكبيرة، مثلما يقول العام عندنا: (طوّف) هذا معنى التغافُل.

وليس معنى التغافُل أنك ترى المنكر الصريح كأنك لم ترَه!، لا، ليس هذا المقصود؛ المقصود هو: أنَّ الإنسان يتجاوز عما يمكن التجاوُز عنه.

المتـــن:

ومنها: تَرْكُ الوقيعة فيهم، قال المهاجري: قال أعرابيٌّ لرجل: قد استدللتُ على عيوبِك بكثرة ذِكْرِك لعيوب غيرك؛ لأنَّ طالبها متَّهمٌ بقدْر ما فيه منها.

ومنها: قَبول العُذر من فاعله صَدَقَ أو كذَبَ؛ لقول رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**مَن اعتذر إليه أخوه المسلم فلم يقبل عُذرَه؛ فعليْه مثل صاحب مكسٍ**».

ولبعضهم:

اقْبَلْ مَعَاذِيرَ مَنْ يَأْتِيكَ مُعْتَـذِرًا ... إِنْ يَرْوِ عِنْدَكَ فِيمَا قَـالَ أَوْ فَجَـرَا

فَقَدْ أَطَاعَكَ مَـنْ أَرْضَـاهُ ظَـاهِرُهُ ... وَقَدْ أَجَلَّكَ مَنْ يَعْصِـيكَ مُسْـتَتِرًا

قال عبد الله بن المبارك: المؤمن طالبٌ عُذْرَ إخوانه، والمنافق طالبٌ عثراتهم.

ومنها: التسارُع إلى قضاء حاجة رافعها إليك، لقول جعفرٍ الصادق: إنِّي لأُسارع إلى قضاء حوائج الإخوان مخافة أن يستغنوا عني بردِّي إياهم.

وقال ابن المنكدر: لم يبقَ من الله إلَّا قضاء حوائج الإخوان.

ومنها: ألَّا يُنسيك بعد الدار كرمَ العهد والنزوع إلى مشاهدة الإخوان، قال ابن الأنباري: مِن كَرَمِ الرجُلَ حنينه إلى أوطانه، وشوقه إلى إخوانه.

التعليق:

يعني ينبغي على الإنسان أن يشتاق إلى إخوانه، وإذا استطاع زيارتهم فعليه أن يزورهم.

وكان معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه يقول: «ما أحب الدنيا إلَّا لثلاث، فقِيل له: وما ذاك؟ قال: صوم الهواجر - يعني: في أيام الحر والهجير-، وقيام الليل في الشتاء، وملاقاة الإخوان.

المتـــن:

ومنها: صون السمع عن سماع القبيح، واللسان عن نُطقه.

فقد قال عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «**يقول الله عَزَّوَجَلَّ: أين الذين كانوا ينزِّهون أسماعهم عن الخنا أُسمعهم اليوم حمدي والثناء عليّ**».

التعليق:

هذا الحديث لا يصح.

المتـــن:

ولبعضهم:

تَحَرَّ مِنَ الطُّرُقِ أَوْسَاطَهَا ... وَخلِّ عَنِ المَوْضِعِ المُشْتَبِه

وَسَمْعَكَ صُنْ عَنْ سَمَاعِ القَبِيحِ ... كَصَوْنِ اللِّسَانِ عَنِ النُّطْقِ بِهِ

فَإِنَّكَ عِنْدَ اسِتمَاعِ القَبِيحِ ... شَرِيكٌ لِقَائِلِهِ فَانْتَبِه

فَكَمْ أَزْعَجَ الحِرْصُ مِنْ طَالِبٍ ... فَوَافَى المُنِيَّةَ فِي مَطْلَبِهِ

ومنها: المبادرة في الجواب عن كتاب الأخ، وترْكِ التقصير فيه.

قال ابن عباسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «إنِّي أرى لردِّ الجواب حقًّا، كما أرى لرد الجواب السلام».

التعليق:

يعني: ينبغي على الإنسان - لا سيما اليوم وقد كثُرَت الرسائل عن طريق الوسائل الحديثة - أن يردَّ السلام مهما كان شغلك، فليس لك أن تعتذر، مهما كان شغلك، ليس لك عُذْر، تقول: والله تَرِد إليَّ رسائل كثيرة وكذا. لا، ينبغي أن ترُد وإن تأخَّرت، المهم أنك ترد؛ فإنَّ من حقوق الأخوة: ردُّ جواب الكتاب، واليوم الرسائل كثيرة تأتيك عن طريق الواتساب والتويترات أنت الذي أوقعت نفسك في

هذا المأزق، ما أشار عليك أحد أن تستخدم عشرين وسيلة اتصال، ثم تتعلل وتقول: أنا لا أستطيع أن أرد. لا، طالما أنك فتحتَ الباب فعليك أن ترُد.

أنا أذكُر قصة مرة مع شيخنا الشيخ فلاح: اتصل عليّ وأنا في الدرس ولم أستطع أن أرد عليه، وبعدما انتهيت من الدرس اتصلتُ عليه، قال: لماذا لم ترد؟ قلتُ له: يا شيخ، كنت في الدرس.

قال: لماذا تأخذ التليفون! ما أشار عليك أحد أن تأخذ التليفون، طالما أنك أخذت التليفون فأنت مُلزَم بالرد.

فينبغي على الإنسان أن يُدرك أنه ما دام قد فتح وسائل الاتصال فما له عُذر الآن: إمَّا أن تُغلق الهاتف، وإمَّا أن ترد.

المتـــن:

وأنشد لأبي هفَّان:

إِذَا الإِخْـوَانُ فَـاتَهُم التَّلَاقِـي فَـمَا شيءٌ أَسَرُّ مِـنَ الكِتَـابِ

وَإِنْ كَتَـبَ الصَّـدِيقُ إِلَى صَـدِيقٍ فَحَـقٌّ كِتَابِـهِ رَدُّ الجَـوَابِ

ومنها: الأدب في الاستئذان واستعمال السُّنَّة فيه، لقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الاستئذان ثلاثٌ: الأُولى تستنصتون، والثانية يستصلحون، والثالثة يأذنون أو يردُّون**».

التعليق:

(**الاستئذان ثلاثٌ**)؛ حديث في الصحيحيْن؛ أمَّا الزيادة السالفة هذه لا تصح.

المتـــن:

ومنها: ألَّا يصوم إذا دعاه أخٌ إلَّا بإذنه، وإن نوى الصوم فليفطر تحريًا لسروره.

فإنَّ أبا سعيدٍ الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: صنعتُ لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طعامًا فجاء هو وأصحابه، فلمَّا وُضِعَ الطعام قال رجلٌ من القوم: إني صائم، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**دعاكم أخوكم وتكلَّفَ لكم، أفطِر ثم صُم يومًا مكانه إن شِئت**».

ومنها: الرغبة في زيارة الإخوان والسؤال عن أحوالهم.

فقد قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنَّ رجلًا زار أخاه في قريةٍ فأرسل الله على مدرجته ملكًا فقال له: إلى أين يا عبد الله؟ فقال: أزور أخًا لي في الله تعالى في هذه القرية، فقال له: طِبْتَ وطابَ ممشاك وتبوَّأتَ من الجنة منزلًا**».

وكان عبد الله بن مسعودٍ يقول: «كنا إذا افتقدنا الأخ أتيناه، فإن كان مريضًا كانت عيادة، وإن كان مشغولًا كانت عونًا، وإن كان غير ذلك كانت زيارة».

ومنها: أن تصاحب كلًّا من الإخوان على قدْر طريقته، قال شبيب بن شيْبة: «لا تُجالس أحدًا بغير طريقة؛ فإنك إذا أردتَ لقاء الجاهل بالعلم واللاهي بالفقه، والغبي بالبيان؛ آذيْتَ جليسك».

التعليق:

يعني المقصود: أنَّ الإنسان يجالس كل أحد بطريقةٍ معيَّنة، فأنت عندما تجلس مع العوام لا يكون جلوسك كما لو أنك تجلس مع طلَّاب العلم، وعندما تجلس مع العلماء لا يكون جلوسك معهم كما يكون جلوسك مع عوام الناس، هذا هو المقصود، وعندما تُجالس مع أهلك فلا تكن رسميا أنت في أهلك، وعندما تُجالس أولادك داعبهم، لاعبهم.

المتـــن:

ويُروىٰ للإمام عليٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ:

لَـئِنْ كُنْـتُ مُحْتَاجًـا إِلَى الْعِلْـمِ إِنَّنِـي ... إِلَى الْجَهْلِ فِي بَعْضِ الْأَحَايِينِ أَحْـوَجُ
وَمَا كُنْتُ أَرْضَى الْجَهْلَ خِدنًا وَلَا أَخًـا ... وَلَكِنَّنِـي أَرْضَى بِــهِ حِـينَ أُحــوَجُ
فَمَــنْ شَــاءَ تَقْــوِيمِي فَــإِنِّي مُقَــوَّمٌ ... وَمَــنْ شَــاءَ تَعْــوِيجِي فَــإِنِّي مُعْــوَجُّ

ومنها: حفظ حرمات الصُّحبة والعِشرة.

قال جعفر الصادق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «مودةٌ يوم صلةٍ، ومودَّةٌ سنةٌ رحمٌ ماسة، مَنْ قطعها قطعَه الله (عَزَّوَجَلَّ)».

وقال علي بن عُبيْدٍ الريحاني: الأحرار ما لم يلتقوا معارف، فإذا التقوا صاروا إخوانًا، فإذا تعاشوا توارثوا».

وقال: الصادق: «صداقة عشرين يومًا قرابة».

ومنها: إنصاف الإخوان من نفسه، ومواساتهم من ماله؛ لقول النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**أشرف الأعمال ذِكْرُ الله تعالى، وإنصاف المؤمن من نفسه، ومواساة الأخ من ماله**».

ومنها: الصبر على جفاء الإخوان، وإسقاط التُّهمة عنهم بعد صحة الأخوة.

ومِن جامع الصحبة والعِشرة قول يحيى بن أكثَم لَمَّا حضرت علقمة العطَّار الوفاة قال لابنه: «يا بُني، إذا صحبتَ الرجال فاصحب مَن إذا أخدمته صانك، وإن صحبته زانك، وإن تحرَّكتْ بك مؤنةٌ صانك، وإن أمددتَ بخيرٍ مدَّ، وإن رأى منك حسنةً عدَّها أو سيئةً سترها، وإن أمسكتَ ابتدأك.

التعليق:

(**أمسكتَ**) يعني: أمسكتَ عن صلته ابتدأك هو بالصلة.

المتـــن:

وإن أمسكتَ ابتدأك، أو نزلتْ بك نازلةٌ واساك، وإن قلتَ صدَقَك، أو حاولتَ أمرًا أمرَك، وإذا تنازعتما في حقٍّ آثرك».

قال عبد الملك: سمِعَ الشعبي هذه الوصية فقال: تدري لِمَ أوصاه بها؟ فقلتُ: لا.

قال: لأنه أوصاه ألَّا يصحَب أحدًا؛ لأنَّ هذه الخصال لم تكمُل في أحد.

ومنها: تعظيم حُرمةُ المشايخ والرحمة والشفقة على الإخوان؛ لقول النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**ليس منَّا مَن لم يوقِّر كبيرنا ويرحم صغيرنا**».

وقال عَلَيْهِٱلسَّلَامُ: «**من إجلال الله تعالى إكرام ذي الشيبةِ في الإسلام**».

التعليق:

وتكملته: «**من إجلال الله تعالى إكرام ذي الشيبة في الإسلام، وحامل القرآن غير الجافي فيه**».

المتـــن:

ومنها: ألَّا يكلِّم الأحداث بحضرة الشيوخ.

قال جابرٌ: قدِمَ وفدُ جهينة على النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فقام غُلامٌ ليتكلَّم، فقال النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**وأين الكبراء؟**».

ومنها: أنَّ الإنسان إذا أراد سفرًا وجَبَ عليه أن يسلِّمَ على إخوانه ويزورهم؛ فلعلَّ لأحدهم حاجةٌ في وجهته، لقول النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إذا سافر أحدكم فليسلِّم على إخوانه، فإنهم يزيدونه بدعائهم إلى دعائه خيرًا**».

التعليق:

إذا جاءك أحد وقال: «يسلِّم عليك أخوك فلان»؛ فينبغي عليه أن تُرُدَّ عليه مباشرةً تقول: «عليك وعليه السلام»، هكذا جاء في السُّنَّة، قد بوَّبَ عليه البخاري في [الأدب المُفرد].

المتـــن:

ومنها: ألَّا يتغيَّر عن إخوانه إذا حدَثَ له غنًى.

أنشد المبرِّد:

لَئِنْ كَانَـتْ الـدُّنْيَا أَنَالتْـكَ ثـروةً ... وَأَصْبَحْتَ مِنْهَا بَعْدَ عُسْرٍ أَخَا يُسْرِ

لَقَدْ كَشَفَ الإِثْرَاءُ عَنْـكَ خَلَائقًـا ... مِنَ اللُّؤمِ كَانَت تَحْتَ سِتْرٍ من الفَقْرِ

ومنها: ألَّا يُغرق في الخصومة، ويترك للصُّلح موضعًا.

فقد رُوِيَ عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أو عليٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «**أحبِب حبيبك هونًا ما، عسى أن يكون بغيضك يومًا ما، وأبغض بغيضك هونًا ما، عسى أن يكون حبيبك يومًا ما**».

التعليق:

هذا الأثر يُروىٰ عن علي وعن عمر، ويُروَىٰ مرفوعًا، والصحيح: أنه حديثٌ حسنٌ إن شاء الله، أنَّ الإنسان إذا أحَبَّ ينبغي عليه أن لا يحب حبًّا مطلقًا؛ يربط حبه بالله عَزَّوَجَلَّ وبالدِّين.

وإذا أبغض لا ينبغي أن يُبغض بغضًا مطلقًا؛ يجعل البُغض مناسبًا للحال، وهذا هو البُغض الدِّيني.

ربما يُصبح بعد البُغض محبة، وبعد المحبة بُغضًا.

المتـــن:

وقيل لأبي سفيان بن حرب: (بِمَ نلت هذا الشرف؟ قال: ما خاصمت رجلًا إلا جعلت للصلح بيننا موضعًا).

ومنها: معرفة الرجال ومعاشرتهم على حسب ما يستحقونه، فقد قيل: إن فتى جاء إلى سفيان بن عيينة من خلفه فجذبه، وقال: يا سفيان، حدثني فالتفت سفيان إليه، وقال: يا بني! من جهل أقدار الرجال، فهو بنفسه أجهل.

ومنها: ألا يعاشر من يخالفه في اعتقاده، قال يحيى بن معاذ: (من خالف عقدك عقده خالف قلبك قلبه).

ومنها: معرفة حق من سبقك بالمودة. قال بلال بن سعيد: (من سبقك بالود، فقد استرقك بالشكر).

ومنها: ترك التطرية والثناء بعد صحبة الأخوة والمودة، قال عبد الرحمن بن مهدي: (إذا تأكد الإخاء سقط الثناء)، وقال الحجي لرجل: (حُبي لك يمنع من الثناء عليك).

التعليق:

لأن الثناء عليه بعد الحب موضع اتهام؛ لأن الحب قد يُطري على الإنسان إطراءً لا يستحقه، ولهذا يقول: شهادة فلان مجروحة في فلان، لماذا؟ لأنه يحبه؛ لأنه صاحبه مثلًا.

المتـــن:

وقال السلمي: والصحبة على أوجه، لكل آدابٌ ومواجب ولوازم.

فمع الله سبحانه: باتباع أوامره، وترك نواهيه، ودوام ذكره، ودرس كتابه، ومراقبة أسرار العبد إن يختلج فيها ما لا يرضاه مولاه، والرضا بقضائه، والصبر على بلائه، والرحمة والشفقة على خلقه.

ومع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ باتباع سنته، وترك مخالفته فيما دق وجل.

ومع أصحابه وأهل بيته: بالترحم عليهم، وتقديم من قدم، وحسن القول فيهم، وقبول أقوالهم في الأحكام والسنن، لقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**أصحابي كالنجوم، بأيهم اقتديتم اهتديتم**»، وقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**إني تاركٌ فيكم الثقلين: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي**».

التعليق:

حديث: "أصحابي كالنجوم"؛ هذا حديث ضعيف، وإنما الحديث الصحيح، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما بلغ مُد أحدهم ولا**

نصيفة»، فمن حقوق أصحابه علينا ما ذكره الله في القرآن: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [**سورة الحشر، من الآية:١٠**]، ومن أراد أن ينال رأفة الله ورحمته فعليه بهذا الدعاء، فإن الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ الرؤوف الرحيم للنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ والصحابة جعل من أسباب ومن طرق نيل رأفته ورحمته الترضي عن صحابة نبيه.

قال الله تعالى في سورة التوبة: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [**سورة التوبة، من الآية:١١٧**]؛ هو بهم رؤوف رحيم، فمن أراد الرأفة والرحمة عليه من يترضى على من الله بهم رؤوف رحيم.

وأما حديث: "إني تاركٌ فيكم الثقلين: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي"، هذا الحديث رواه الحاكم وغيره، ولكن هذا الحديث لا يصح بهذا اللفظ.

وإنما الحديث الصحيح جاء في صحيح مسلم، من حديث زيد بن أرقم أن النبي صلى الله عليه وسلم قام في مقامٍ يقال له: خم، فقال: «**إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا أبدًا، كتاب الله**»، فمازال يوصي بكتاب الله ثم قال: «**وعترتي آل بيتي أوصيكم بهم خيرًا**»، هذا هو اللفظ المحفوظ.

مداخلة: ..... **(١:٥٩:٢٩)**

على كل حال.. صحبة الله تُدرك؛ لأن صحبة الله بمعنى المعية الخاصة، والقرب الخاص.

المتـــن:

ومع أولياء الله، بالخدمة، والاحترام لهم، وتصديقهم فيما يُخبرون عن أنفسهم ومشايخهم؛ فقد رُوي عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أن الله تعالى يقول: «**من أهان لي وليًّا فقد بارزني بالمحاربة**».

ومع السلطان: بالطاعة في غير معصية الله؛ إذ مخالفته سنة، فلا يدعو عليه فيهما، بل يدعو له غائبًا؛ ليصلحه الله تعالى، ويصلح على يديه، وينصحه في جميع أمور دينه، ويصلي ويجاهد معه؛ لقول النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**الدين النصيحة**»، قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: «**لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم**».

التعليق:

هذا هو معتقد أهل السنة والجماعة، وهو من حقوق السلطان على المسلمين، طاعته في غير معصية الله عَزَّوَجَلَّ والسمع لقوله، والدعاء له لا عليه، هذه من حقوق ولاة الأمر، والنصيحة له سرًّا ومعاونته على البر والتقوى.

المتـــن:

ومع الأهل والولد بالمداراة وسعة الخُلق والنفس وتمام الشفقة عليهم والأدب والسنة، وحملهم على الطاعة.

التعليق:

ما معنى المداراة؟ المداهمة عرفناها، الآن المداراة! المداراة هو ترك شيء من حق النفس للغير، واضح! هذا معنى المداراة، أنك تترك شيئا من حقك حفظًا على الدين، تترك شيئا من حقك حفظًا للولد، تترك شيئا من حقك حفظًا للعِرض، واضح! هذا معنى المداراة.

المتـــن:

لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ [سورة التحريم، من الآية:٦] الآية، والصفح عن عثراتهم، والغض عن مساوئهم في غير إثم أو معصية؛ لقول النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**المرأة كالضلع، إن أقمتها تكسرها، وإن داريتها تعش منها على عوج**».

ومع الإخوان: بدوام البِشر، وبذل المعروف، ونشر المحاسن، وستر القبائح، واستكبار برهم إياك، واستقلال برك إياهم، وإن كثر، ومساعدتهم بالمال والنفس، ومجانبة الحقد والحسد والبغي وما يكرهون من جميع الوجوه، وترك ما يُعتذر منه.

ومع العلماء: بملازمة حرماتهم، وقبول أقوالهم، والرجوع إليهم في المهمات، ومعرفة المكان الذي جعله الله لهم من خلافة نبيه ووراثته؛ لقوله عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ: «**العلماء ورثة الأنبياء**».

التعليق:

المقصود بالعلماء هنا العلماء العاملون الذين يدعون إلى التوحيد وينشرون التوحيد والسنة، والذين يحتمون بترغيب الناس للآخرة، وليس المقصود به علماء السلطة الذين يريدون الحكم، أو علماء الدنيا الذين يريدون الدنيا والمناصب، وليس المقصود هنا علماء البدعة.

المتـــن:

ومع الوالدين: ببرهما بالخدمة بالنفس والمال في حياتهما، وإنجاز وعدهما بعد وفاتهما، والدعاء لهما في كل الأوقات، وإكرام أصدقائهما؛ لقوله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «**إن أبر البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه**»، وقد قال رجلٌ لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هل بقي علي من بر والديَّ شيء أبرهما بعد وفاتهما؟ قال: «**نعم، الصلاة عليهما، والاستغفار لهما، وإكرام صديقهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما**»، وقال عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «**من العقوق أن يرى أبواك رأيًا وترى غيره**».

ومع الضيف: بالبِشر، وطلاقة الوجه، وطيب الحديث.

التعليق:

هذا الحديث: «من العقوق أن يرىٰ أبواك رأيًا وترىٰ غيره»، هذا الحديث لا يصح.

ومع الضيف: بالبشر، وطلاقة الوجه، وطيب الحديث، وإظهار السرور، وقبول أمره ونهيه، ورؤية فضله ومنته بإكرامك وتحريه لطعامك.

ولمعرس بن كرام:

مَـــنْ دَعَانَـــا فَأَتَيْنَـــا ... فَلَـــهُ الْفَضْـــلُ عَلَيْنَـــا

فَـــإِذَا نَحْـــنُ أَتَيْنَـــا ... رَجَـــعَ الْفَضْـــلُ إِلَيْنَـــا

قال: آداب الجوارح:

ثم على كل جارحةٍ أدبٌ تختص به، فأدب البصر نظرك للأخ بالمودة التي يعرفها منك هو والحاضرون ناظرًا إلى أحسن شيءٍ يبدو منه، غير صارفٍ بصرك عنه في حديثه لك.

التعليق:

يعني من الآداب في البصر أن الإنسان إذا يحدثك فلا يصح ولا يقبل أن يكلمك وأنت تطالع مكانا آخر، فيجب عندما يحدثك أن تنظر إليه، كذلك من الآداب في البصر أنك إذا كنت في بيت أخٍ لك، أن لا تنظر إلا إلى شيءٍ يحبه، ولا تنظر إلى المساوئ في البيت.

المتـــن:

وأدب السمع: إظهار التلذذ بحديث محادثك، غير صارف بصرك عنه في حديثه، ولا قاطعٍ له بشيءٍ، فإن اضطرك الوقت إلى شيءٍ من ذلك فأظهر له عذرك.

وأدب اللسان: أن تحدث الإخوان بما يحبون في وقت نشاطهم لسماع ذلك، باذلًا لهم النصيحة بما فيه صلاحهم، مسقطًا من كلامك ما يكرهونه؛ ولا ترفع صوتك عليهم، ولا تخاطبهم إلا بما يفهمونه ويعلمونه.

وأدب اليدين: بسطهما للإخوان بالبر والصلة، ولا تقبضهما عنهم، ولا عن الإفضال عليهم ومعونتهم فيما يستعينون به.

وأدب الرجلين: أن تماشي إخوانك على حد التبع، ولا تتقدمهم؛ فإن قربك أحد إليهم تقرب بقدر الحاجة، وترجع إلى مكانك؛ ولا تقعد عن حقوق الإخوان ثقةً بالأخوة؛ لأن الفضيل رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: (ترك حقوقهم مذلة)، وتقوم لهم إذا أبصرتهم مقبلين، ولا تقعد إلا بقعودهم، وتقعد حيث يقعدونك.

قال: آداب البواطن:

واعلم يا أُخي وفقك الله للرغبة في أدب الصحبة، أن أدب الظاهر عنوان أدب الباطن؛ لقول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقد رأى رجلًا يمس لحيته في الصلاة، فقال: (لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه).

التعليق:

الحديث ضعيف، ولكن لا شك أن هناك صلة بين الظاهر والباطن، بين القلب وبين الجوارح؛ لأن القلب ملك الجوارح، والملك إنما هو بحاشيته، فإذا كانت الحاشية سليمة كان الملك تصرفاته سليمة، وإذا كان الملك سليمًا كانت الحاشية تصرفاتها سليمة، فهناك علاقة وطيدة بين الباطن وبين الظاهر،

كل واحدٍ منهما مؤثر على الآخر، ولهذا قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب**».

ومع الأسف الشديد اليوم أن الناس أصبحوا أهل مظاهر؛ حيث يهتم الكثير من الناس بمظهره الخارجي ولا يبالي ما الذي في قلبه، مع أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إنما ينظر إلى قلوبنا أولًا، وأعمالنا ثانيًا، كما جاء في صحيح مسلم من قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أجسامكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**»، فالنظر أولًا من الله إلى القلب، ولهذا ينبغي أن الإنسان يجعل قلبه مليئًا بالتوحيد، خالصًا عن الشوائب بعيدًا عن الحقد، والحسد، والغل، والبدع، والمحدثات.

المتـــن:

وقال الجنيد لأبي حفص رحمة الله عليهما: (أدبت أصحابك أدب السلاطين)، قال: (لا، يا أبا القاسم، ولكن حسن أدب الظاهر عنوان أدب الباطن).

ثم اعلم أن كل علم وحالٍ وصحبة خرج من غير أدب غالب مرود على أهله؛ لقوله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «**إن الله أدبني فأحسن تأديبي**»، وكان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يحب معالي الأخلاق.

وإذا وجب على العبد مراعاة ظاهره لصحبة الخلق فمراعاة باطنه أولى؛ لأنه مطلع الرب تعالى.

التعليق:

إن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يطلع إلى القلب فقط، كما يظنه بعض المتصوفة، بل إن الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مطلع على القلب والعمل.

ولذلك قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في القرآن الكريم: ﴿وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ﴾ [**سورة التوبة، من الآية:٩٤**]؛ إذًا الله ينظر للعمل، وليس إلى القلب فقط، نعم هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ينظر إلى القلب أولًا، لمن العمل؟ ثم ينظر إلى العمل ثانيًا: هل هو موافق للصواب أو لا؟

فهل ينظر للقلب هل هو خالص للقلب أو لا؟ فإن كان خالصًا له نُظر إلى العمل هل هو موافق للسنة أو لا؟

المتـــن:

ومراعاة باطنه وآدابها بملازمة الإخلاص، والتوكل، والخوف، والرجاء، والرضا، والصبر، وسلامة الصدر، وحسن الطوية، والاهتمام بذلك في أمر المسلمين؛ لقوله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «**من لم يهتم للمسلمين فليس منهم**».

فإذا تأدب الناظر في كتابنا هذا بهذه الآداب، وتأدب ظاهره بما ذكرنا، رجوت أن يكون من الموقنين.

فنسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يوفقنا للأخلاق الجميلة، وأن يُسددنا في أفعالنا وأقوالنا وأحوالنا بمنِّه وكرمه، إنه أكرم الأكرمين، وأرحم الراحمين.

والحمد لله وحده، وصلى الله على من لا نبي بعده، محمدٍ وآله وصحبه وسلم.

التعليق:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، من أراد التوسع فعليه بالكتاب العظيم الذي ما أُلِّف في الإسلام مثله كتاب [**الأدب المفرد**] لإمام المحدثين وأمير المؤمنين وشيخ الفقهاء وعلامة الحديث أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله تعالى.